نكون أو لا نكون

د . فرج على فوده

إهـــداء

إلى زملاء ولدى الصغير أحمد ،
الذين رفضوا حضور عيد ميلاده ،
تصديقا لمقولة آبائهم عنى ...
إليهم حين يكبرون ، ويقرأون ،
ويدركون أننى دافعت عنهم وعن
مستقبلهم وأن ما فعلوه كان أقسى
علىّ من رصاص جيل آبائهم . .

هذه مجموعة من المقالات، لكل مقال منها قصة، والقصة ضرورية أحيانا لفهم المقال ومعايشته، وأغلب هذه القصص لطيف، بينما أغلب المقالات عنيف، لأنها كتبت بأعصاب مشتعلة، ونحتت من الوجدان، وصدقت فى مشاعرها إلى أقصى الحدود، وقد اكتشفت عنفها حين اجتمعت معا، واندهشت لذلك كثيرا، لأنى فى حياتى الخاصة ومع أصدقائى، شديد الوداعة والطيبة، على العكس تماما من طبيعتى حين أشعر أن هناك ما يهدد ذلك الذى أحيا من أجله، وأستمد وجودى من وجوده، وأدافع عنه حتى آخر نفس، وهو الوطن ..

الغريب أن ذلك - القدر من العنف - لم يكن اكتشافى الوحيد حين اجتمعت هذه المقالات أمامى لأول مرة، وإنما كان هناك اكتشاف آخر، هو أننى فى هذه المرة، أو بمعنى أدق فى هذه المقالات، لا أرد سهاما، ولا أصد هجوما بل أبادر وأبدأ وأشتد، على العكس من أغلب مقالاتى فى كتابى السابق (حوار حول العلمانية) التى كانت رد فعل لهجوم الآخرين..

ربما كان غريبا أن يتحدث الكاتب عن انطباعاته

بالنسبة لكتابه إلى القراء، لكن لا بأس، فما أكثر ما خرجنا على المألوف عامدين، وما أكثر ما اصطدمنا بالمألوف مضطرين، ولا بأس أن أستطرد فأذكر للقارئ أننى عند مراجعتى للكتاب تذكرت انطباعاتى منذ عشرين عاما وأنا أقرأ المعارك الفكرية للرواد، على عبد الرازق، وطه حسين، والعقاد، وخالد محمد خالد وغيرهم، ووقتها كنت أندهش أحيانا، وأنزعج أحيانا، وأسعد دائما، وأتساءل باستمرار عن سبب عقم زماننا، وها أنذا أقارن بين معاركهم ومعاركنا، وتتوارد إلى ذهنى كتابات رواد التنوير فى عصرنا، المستشار سعيد العشماوى، والدكتور فؤاد زكريا، والسفير حسين أمين، والدكتورة نوال السعداوى، والدكتور لويس عوض، والدكتور صبحى منصور، والدكتور عبد العظيم رمضان، والأستاذ خليل عبد الكريم، والدكتور سيد القمنى، والدكتور نور فرحات، والأستاذ مكرم محمد أحمد، والأستاذ أحمد بهاء الدين والأستاذ صلاح حافظ، والأستاذ محمود السعدنى، والدكتور رفعت السعيد والشاعر أحمد عبد المعطى حجازى، وأخيرا ما كتبه صاحب هذا القلم، وأجزم أن ما كتبه هؤلاء فى السنوات الأخيرة، هو أجرأ ما كتب فى تاريخ اللغة العربية، وأكثره وعيا واستنارة، والأهم من ذلك أكثره شجاعة

ومقدرة..

إن ما أسجله فى هذا الكتاب شديد الأهمية فى تقديرى، لأنه يعكس واقع المعارك الفكرية التى نعيشها، وهو سجل هام للأجيال القادمة، أكثر بكثير من أهميته لجيلنا، لأنه وثيقة شرف لجيل أبائهم، ولعلهم لن يصدقوا أننا كتبناه ونحن غارقون فى اتهامات التكفير، ومحاطون بسيوف الإرهاب والتهديد، ويقينا سوف يكتب البعض من الأجيال القادمة ما هو أجرأ، وأكثر استنارة، لكنه سوف يصدر فى مناخ آخر، أكثر حرية وانطلاقا وتفتحا، ولعله من حقنا عليهم أن نذكرهم أنهم مدينون لنا بهذا المناخ، وسوف يكتشفون عندما يقلبون أوراقنا ونحن ذكرى، أننا دفعنا الثمن..

ويا أيها القارئ بعد زمان طويل، إقرأ لنا وتعلم كيف يكون الإنسان موقفا، وكيف نحتنا عصر تنوير جديد بأقلامنا، وكيف كانت الكلمات أقوى من الطلقات، وافهم معنا ما فهمناه من حكمة الله العلى القدير، حين شاء أن تكون أولى كلماته فى الإنجيل (فى البدء كانت الكلمة)، وفى القرآن (إقرأ)..

أيها القارئ بعد زمان طويل .. اقرأ ..

د. فرج فوده – مصر الجديدة

٢٠ ديسمبر ١٩٨٨

وردة وخلط الأوراق

قصة المقال : كنت جالسا (فى حالى) أمام التليفزيون، أمنى نفسى بليلة طيبة أشاهد فيها تنافسا رياضيا ممتعا على نهائى كأس إفريقيا لبطولة أندية كرة السلة بين الإتحاد السكندرى ممثلا لمصر، وناد آخر يمثل أنجولا، وفجأة رأيت (شيئا) يجرى بين اللاعبين، لا علاقة له بزيهم أو مظهرهم، وفركت عينى لكى أتحقق مما أرى، كان مدحت وردة كابتن الفريق المصرى وقد أطلق لحيته، وكحل عينيه، ولبس لباسا طويلا لا علاقة له بالشورت لأنه أطول، ولا بالبنطلون لأنه أقصر، وأدركت من مظهره وتعليقات المذيع أن الإسلام العظيم مقحم فى الموضوع بلا مقتضى، وأن هناك من أوهم مدحت بأن فخذه عورة، وأن واجبه أن يحمى الجمهور من (الفتنة)، وبعد وقتين إضافيين، انتصر الاتحاد، ولم تدم سعادتى أكثر من لحظات قصار أفسدها مدحت بعد ذلك حين تقدم لاستلام الكأس، فرفض رفعه إلى أعلى، ورفع المصحف بديلا عنه، بينما المذيع يصرخ: لا إله إلا الله، الله أكبر، وهكذا تحولت ساحة الرياضة إلى ساحة تعصب مقيت، وانتظرت فى صحف الأيام التالية أن أجد لوما أو اعتراضا أو امتعاضا فإذا بها جميعا تتجاهل أو تؤيد،

فكان هذا المقال الذى نشره المصور.

المقال : وردة وخلط الأوراق *

معظم النار من مستصغر الشرر كما يقولون، وكثير من الظواهر التى نشهدها وننكرها اليوم بدأت بتصرفات فردية محدودة، أهملناها فنمت، وهون البعض من شأنها فزادت، وزايد البعض عليها فانتشرت، ومن هذا المنطلق اخترت أن أعلق على زى مدحت وردة فى بطولة أفريقيا لأندية السلة، واحترت فى وصف الجزء الأسفل من الزى، فلا هو (شورت) لأنه ينسدل إلى أسفل الركبتين، ولا هو (بنطلون) لأنه يعلو كثيرا عن الكعبين، والأدق إلى أن نجد تسمية ملائمة، أن نسميه (بين بين)، غير أن ذلك قد يغضب بعض الكتاب، مثل الأستاذ أحمد بهجت الذى أسماه زيا رياضيا إسلاميا، واعتبره نموذجا للزى النابع من تراثنا وديننا، أما كونه زيا رياضيا فأمر ينكره العرف، وأما كونه زيا إسلاميا فأمر لا سند له فى الفقه الإسلامى كما سنثبت اللهم إلا إذا كان منهج الإسلام هو العسر حين نملك اليسر، والتضييق والتشدد حيث توجد الإباحة، بل حيث تجدر الإباحة..

---

* نشر فى مجلة المصور بتاريخ ٣ يوليو ١٩٨٧

ربما تململ البعض بعد هذه المقدمة، وربما تصوروا أننى أعترض لمجرد الاعتراض، وانقد ما يستوجب الاشادة، غير أنى أدعوهم إلى تأجيل الأحكام إلى نهاية المقال. والى الإقبال بقلب مؤمن وعقل مفتوح على ما أسوقه إليهم من حجج تستند إلى المنطق والعرف والفقه، أما المنطق فأحسب أنه يدعونا إلى تساؤل، عن الفرق الرياضية فى المملكة العربية السعودية التى لا يجرؤ نظام الحكم فيها على المخالفة العلنية لنص شرعى أو فقه مجمع عليه، بيد أنه يسمح للاعبى كرة القدم وغيرها بارتداء الشورت القصير دون حرج أو إنكار، وبديهى أن هذه القضية قد قتلت لديهم بحثا، وأنهم وجدوا ما يستندون إليه فى القبول، أو لم يجدوا ما يستندون إليه فى الرفض، ولعلنا ونحن مازلنا خارج ساحة الفقه، نرى أن الفرق بين الشورت المتعارف عليه والبين بين الذى يرتديه وردة، ينحصر فيما يكشف عنه الأول، ويحجبه الأخير، وما يطلق عليه لغويا اسم الفخذ (وهو ما يصل بين الساق والورك - راجع لسان العرب ص ٣٣٦١ - طبعة دار المعارف)، وأن البعض يرى أنه عورة، وأنه على ذلك أجمع السلف الصالح - وسوف نرى أن ذلك ليس صحيحا - ولو جاريناهم فى تصورهم، لوجب علينا أن ننبههم إلى أن التحريم لابد

وأن يرتبط بسبب، ولعلهم يردون علينا بأن السبب كامن فيما يثيره الفخذ من فتنة، وما يدفع إليه من إثارة، وهو أمر لو صح فى عهد السلف، فإنه لا يصح فى عصرنا حيث لا نرى ما رآه السلف الأول، وحيث يكر اللاعبون ويفرون، دون أن ينبض لنا عرق، أو يهش لنا فؤاد، أو يفكه لنا قلب، أو تتدغدغ لنا روح، ولا نحسب أن أحدا مدح لاعبا بسمنة فخذه، أو عيّره بنحولها، ولا نعتقد أن أحدا يمكنه أن يدعى أن اللاعب يكوينا بسهام الهوى إن كر، أو يدمينا بنار الجوى إن فر، وحتى لو إستدل البعض بأدلة (سوف نرى مدى ضعفها)، على أن ذلك سنة فلنا أن نحمل ذلك على محمل السنة فى أمر الزى والعلاج، حيث يرى أغلب الفقهاء أن الرسول كان يتأسى فيهما بعصره، وأن ذلك لا يلزم من يأتى بعده فى عصر غير العصر، وزمان غير الزمان .. هذا عن المنطق، فماذا عن العرف؟

أحسب أن العرف الدولى قد استقر على زى موحد، وأننا لا يمكن أن نعزل أنفسنا عن اللقاءات الرياضية الدولية، وأنه ليس منطقيا وليس مقبولا، أن يلعب الجميع بالشورت، ونلعب نحن بالبين بين، أو أن تصبح مبارياتنا مع الفرق الأجنبية ساحة لعرض

أزيائنا الغريبة، ومعرضا لتساؤل المتفرجين عن ذلك الذى نخفيه، ولو رددنا عليهم بخشية الإثارة أو خوف الفتنة، لظنوا الظنون بجمهورنا الطيب، وتصوروا أن اللاعبين يحتمون بهذا الزى من نظرات الجمهور الجرئ، بينما جمهورنا برئ، وبينما الأمر كله أمر فتوى لا تقف على قدمين، ولا يساندها إجماع أو ترجيح..

ولا يبقى إلا الفقه. وهو الفيصل والحكم، خاصة وأن أنصار الزى الجديد يستندون إليه ويحتمون خلفه، ولعلهم يتصورون أننى حاولت فيما سبق، أن ألتف حول قاعدة إسلامية، وأننى أتلفت فى حديثى عن المنطق والعرف، ذات اليمين وذات اليسار، باحثا عن مخرج فلا أجد، ولعلهم يرددون بينهم وبين أنفسهم، قل ما شئت، واستنتج واستنبط كما تريد، وارتع فى ساحة القياس كما ترى، فردنا عليك يسير، وموقفك صعب وعسير، لأنك لن تستطيع الهروب من نص، ولن يمكنك الإفلات من قاعدة شرعية، ولن تتملص من إجماع الفقهاء، ولعلى شديد الأسف إذا خيبت ظنهم، وشديد الحزن إذا ذكرت لهم أنهم لم يرجعوا إلى كتب الفقه قبل الإفتاء، وأن ما يجمعون عليه مختلف فيه، وأن سندهم فى دعواهم أضعف من سند من يعترضون عليهم، ولو

رجعوا إلى أكثر كتب الفقه انتشارا، ولعله أيسرها، وهو كتاب (فقه السنة) للشيخ سيد سابق (ص ١٢٥ - جزء ١ - دار الكتاب العربى)، لوجدوا أن (عورة الرجل هى القبل والدبر، أما ما عداهما من الفخذ والسرة والركبة فقد اختلفت فيها الأنظار تبعا لتعارض الآثار، فمن قائل أنها ليست، ومن ذاهب إلى أنها عورة)، ولعلى أشير هنا إلى أن تلك القاعدة خاصة بستر العورة عند الصلاة، بينما يختلف الأمر فى الرياضة، وتتسع مساحة السماحة وإمكانية الترخيص، بيد أننا لن نتوسع فى التفسير أو القياس، وسوف نريح المعترضين علينا بالأخذ بأقصى درجات التشدد، وسوف نسلم معهم بأن ما هو عورة فى الصلاة عورة فى غيرها، وسوف نحتكم وإياهم إلى كتاب فقه السنة، حيث ورد فيه تحت عنوان - حجة من يرى أنها ليست عورة - أربعة أحاديث، أوضحها وأقواها سندا (عن أنس: "أن النبى صلى الله عليه وسلم يوم خيبر حسر الإزار عن فخذه، حتى أنى لأنظر إلى بياض فخذه" رواه أحمد والبخارى)، ثم ورد بعد ذلك تحت عنوان حجة من يرى أنها عورة - حديثان متشابهان، أوضحهما وأقواهما سندا (عن جرهد قال: "مر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىّ بردة وقد انكشفت فخذى فقال:

غط فخذيك فإن الفخذ عورة "رواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذى)، وقد ذكر الشيخ سيد سابق أن البخارى قد قارن بين حديث أنس (ليست عورة) وبين حديث جرهد (هى عورة) فقال (حديث أنس أسند، وحديث جرهد أحوط: أى حديث أنس المتقدم أصح إسنادا)..

هنا يبدو الأمر واضحا كل الوضوح، أربعة أحاديث تنفى أنها عورة، مقابل حديثين يريانها عورة، وأشهر أسانيد أنها عورة حديث أنس، وقد ورد فى أحد الصحيحين، وأشهر أسانيد أنها عورة حديث جرهد، ولم يرد فى أحدهما، والبخارى يكفينا مؤونة الموازنة بين الحديثين، فيحكم أن حديث أنس أصح إسنادا، ولو لم يفعل البخارى لوجدنا فى الاختلاف رخصة، لكنه فعل، ودفعنا إلى طرح حجتنا بمنطق المتشددين، والى المطالبة بالإلتزام بما يلتزم به الأصوليون، وهو الأخذ بالسند الأصح إن اختلفت الرواية، ولِوَرْدَة بعد هذا أن يتشدد أو يتحوط لكن ليس لأحد أن يتشدق بمقولة الزى الرياضى الإسلامى، أو يزايد على ذلك البين بين، مصورا لنا، أو متصورا، أن هذا هو النموذج، وأن غيره رجس وضلال، ولعل القارئ يسمح لى الآن، أن أصارحه بما تحرجت من ذكره فى بداية المقال، وهو أننى ابتسمت

اليوم التالى، لأنها لم تنشر هذه الصورة ولم تركز عليها، وقد عزت جريدة الشعب ذلك إلى أن هذا الأمر لم يعجب المسئولين فى البلد المسلم ولعلى أحيى المسئولين إذا كانوا قد فعلوا ذلك عن قصد، وهو ما لا أعتقده، لأن تصرف وردة، مع كل حسن النوايا، يحمل خلطا غير مقصود، ويوحى بمعنى غير صحيح، مضمونه أن انتصار الاتحاد السكندرى، انتصار للإسلام، وهو معنى لو سلمنا به، لوجب علينا أن نسلم فى المقابل بأن هزيمة الاتحاد السكندرى هزيمة للإسلام، وهو ما نرفضه ونأباه، ليس ذلك فحسب، بل علينا أن نطرح تساؤلا آخر، خاصة وأن النتيجة ظلت معلقة حتى الدقيقة الأخيرة من الوقت الإضافى، ماذا لو فاز الأنجوليون، ورفع رئيس فريقهم الكتاب المقدس بدلا من الكأس؟ أجزم بأن أقلامنا كانت ستنتقدهم أشد الانتقاد، وستذكرهم بأنها مباراة رياضية، وليست حربا دينية، وأنهم فازوا بالجهد وليس بالكتاب المقدس، وانتصروا بإجادة فنون كرة السلة وليس بقراءة المزامير، وأنهم خلطوا الأوراق عن قصد، وحاولوا إشعال فتنة دينية عن عمد، وحولوا ساحة الرياضة المتسامحة إلى ساحة للتعصب المقيت، وأنهم مبشرون يتخفون فى زى كرة السلة، وربما طالب كتّابنا وزارة الخارجية بالاحتجاج لدى حكومة أنجولا

كثيرا عند رؤية وردة فى زيه الغريب، وأن ابتسامى لم يكن ابتسام سخرية، حاشا لله، بل ابتسام تعجب ممن يغلقون على أنفسهم أبوابا مفتوحة، ويلجأون إلى الضيق وأمامهم الفرج، والى التضييق وأمامهم التسامح، ويتعسفون فى ذلك أشد التعسف، ويتزيدون غاية التزيد، بينما الأمر لا يحتمل تعسفا أو تزيدا، ولو اقتصر الأمر على حديث البين بين لما استحق منى التعليق، ولأدرجته ضمن الحرية الشخصية لوردة، ولاحتسبته تخوفا منه علينا من فتنة يراها ولا نراها، وهو تخوف نحمده له فى كل حال، لكن تصرفا حدث منه فى نهاية المباراة، أثار فى نفسى عديدا من التساؤلات، إذ تقدم وردة ليتسلم كأس البطولة، وانتظر الجمهور منه أن يرفع الكأس، فإذا به يرفع المصحف، ومر الأمر ببساطة ويسر، وتداول اللاعبون والجمهور كأس البطولة فى فرحة غامرة، لكن جريدة الشعب التى يصدرها حزب العمل، لم تترك الأمر يمر بهذه البساطة، خاصة وأن حزب العمل مرتبط بالتحالف الإسلامى، فأعادت نشر صورة وردة وهو يرفع المصحف، وكتبت عنوانا بالخط العريض نصه (رفع المصحف بدلا من الكأس فحجبوا صورته)، وانهالت تحت العنوان باللائمة والنقد على صحف

على هذا التصرف المثير، بل ربما واجه رجال الأمن موقفا عصيبا إذا حاولوا حماية الفريق المنافس من غضب الجمهور الثائر أمام تصرف مستفز ..

أحسب أن ما ذكرته كاف، بلا تعليق، للرد على من يرون للحقيقة وجها واحدا يعجبهم، وينسون أن لها وجهين، وحسبى أن أؤكد أن روح الإسلام تؤيد ما فعلناه، وما انتصرنا به، وهو الجهد والعرق والتدريب، وأنه لا يغنى عن ذلك رفع المصاحف، لأن المصحف ليس شعارا للتلويح، وإنما معنى للتدبر، وليصدقنى وردة إذا ذكرت له أننى معجب به كل الإعجاب، كلاعب وليس كواعظ، وكرئيس للفريق وليس كإمام له، وكرياضى كفء وليس كداعية دينى، لا لشئ إلا لأنه قدم نفسه إلينا فى الملعب وليس فى المحراب، وأمتعنا بألعابه وليس بمواعظه، ولعلى فى النهاية مضطر إلى دعوة صحيفة الشعب وغيرها إلى التروى فى إطلاق الأحكام، والى التمهل فى إبداء الإعجاب، والى التحرز عند النحو باللائمة، ويا وردة، جزاك الله كل خير على نواياك، وألف مبروك على جهدك الرائع، وجهد زملائك العظيم، وألف تحية لجمهور الاتحاد الأصيل، وتهنئة من القلب لمصر، ولكل المصريين .

لشيخ الأزهر أن يحمد الله

قصة المقال : لا أعتقد أننى كتبت مقالا أعنف من هذا المقال، ولا أعتقد أن مشيخة الأزهر فى تاريخها قد تلقت نقدا أعنف من هذا النقد، وما تصورت يوما أن أتجادل مع رجال الأزهر أو مع شيخه فى أمر من الأمور، ذلك لأنى رجل سياسة وفكر وهم رجال دين وعقيدة، ومذهبى أن أفصل بين الساحتين حفاظا عليهما معا، بيد أن معركة فكرية ثارت بين الأستاذ فهمى هويدى والمستشار سعيد العشماوى حول كتاب الأخير (الإسلام السياسى)، احتد فيها الاستاذ هويدى وتجاوز بصورة لم نعهدها عنه، وهدأ فيها واعتدل المستشار العشماوى بصورة نعرفها عنه، وبينما الجدل محتدماً والحوار دائرا، إذا بالأستاذ هويدى ينشر رسالة مفتوحة من شيخ الأزهر (الشيخ جاد الحق) يوجهها إليه ويشد فيها على يديه ويتهم فيها الفريق الآخر (الذى أنتمى إليه بالطبع)، بالعداء للإسلام، وبالعمالة للقوى المعادية للإسلام (كذا) ويتساءل عمن يسلطهم على الإسلام (كذا)، وهكذا دخل الرجل ساحة السياسة بقدميه (أقصد بمقاله)، وامتطى حساما يبارز به منتصرا لفريق

وطاعنا لفريق، ولو استقر فى موقعه لأحاطه الفريقان بالتكريم والإجلال، ولو بقى فى ساحته ما أصابه رذاذ المعركة، لكنه انتقل إلينا فالتفتنا إليه، وطعن فينا فرددنا عليه، واتهمنا أسوأ الاتهامات بلا دليل فكان هذا المقال الذى نشرته جريدة الأهالى.

المقال : لشيخ الأزهر أن يحمد الله*

لشيخ الأزهر أن يحمد الله كثيرا على أن الشريعة ليست مطبقة فى مصر لأنها لو طبقت لاستحق أن يجلد تعزيرا بتهمة القذف، وأغلب الظن أن ذلك كان سيحدث على ملأ، وأن جسده الرهيف كان سيعجز عن تحمل قسوة الجلاد، فللجسد الإنسانى أحكام، وشتان بين الجسد الذى ذاق حلاوة السمن البلدى، وطراوة الزبد الهولندى، وبين جسد عمر بن الخطاب الذى اسود جلده من أكل خبز الشعير بالزيت، أو أجساد من كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، أما جريمة شيخ الأزهر، وهى فى شرع الإسلام جريمة بكل المقاييس، فهى قذف بعض خيار المسلمين فى

نشر بجريدة الأهالى (٢٣ مارس ١٩٨٨) ردا على خطاب شيخ الأزهر المنشور فى الأهرام (١٦ فبراير ١٩٨٨) - راجع ملحق رقم ١

خطابه للأستاذ هويدى، ونعتهم بالخروج على الإسلام، وبالعمالة للقوى المعادية للإسلام ، وهى تهمة لا يملك عليها دليلا، بيد أنها دليل على أنه يستقى معلوماته - كما يستقى العامة - من الصحف السيارة، أو من بعض من يصورون له أن لأقواله المرسلة أصلا دينيا أو تأصيلا فقهيا.

لشيخ الأزهر أن يحمد الله أيضا لأن أحدا لم يتعرض له، ولم يسأله عن موقع منصبه من صحيح الدين، ذلك الدين القيم، الذى لا يعرف كهنوتا، ولا يوسط أحدا بين الله وعباده، ولا يفسح مساحة لرجال الدين، وإنما الساحة فيه واسعة للموعظة بالحسنى، تلك التى لم نجد لها فى خطابه تأصيلا، وللعلم قبل الفتوى، ذلك الذى لم نجد عليه فى خطابه دليلا، ولعله سوف يرد علينا بأننا فى هجومنا عليه نهاجم الإسلام، وهو رد نرفضه من البدء، فالإسلام أعز من أى كائن من كان، وليس فى الإسلام قدسية لأحد، وبعد عهد الرسول لا عصمة لأحد، إلا إذا كان يتصور أنه ظل الله فى أرضه، أو أنه الإمام المعصوم أو المهدى المنتظر، وهنا نقول له خفف الوطء، فإنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا، واقصد فى هجومك، وتذكر قول أبى حنيفة حين

سأله تلميذه: ترى هل ما ذكرت هو الصواب الذى لا يأتيه الخطأ، فأجابه والله لا أدرى، لعله الخطأ الذى لا يأتيه الصواب.

أية القول السابق أن أبا حنيفة كان يفهم الإسلام كما يجب أن تفهم أنتَ الإسلام، وشتان بين المتواضع الخائف وبين المتعالى القاذف، وشتان أيضا بين من رفض المناصب الدنيوية جميعا وعاش من دخل تجارته، وبين ما نراه عليك من نعمة ونعيم، وتمجيد وتعظيم، وما ضرنا لو زادت المناصب منصبا، وما ضرنا أن يعلو بك البروتوكول فوق رؤوسنا ورؤوس المسلمين، وما ضرنا أن تسكن فى قصر منيف، وما ضرنا أن تحصل على مرتبك من أموال دولة المسلمين، تلك التى تنعتها بأنها ربوية، وتصف بعض مصادر دخلها بأنها آثمة لأنها تأتى من المشروبات الروحية، وما ضرنا أن نسمعك تقرأ فى المناسبات الدينية خطبا مكتوبة يملؤها نطقك بالأخطاء النحوية.. ما ضرنا هذا كله، لكن الضر كل الضر أن تتصور أنك يمكنك أن تخيف وأن بمقدورك أن تمنع كتابا هنا أو تصادر رأيا هناك، وأن تتخيل أن بيدك مفاتيح خزائن الدين، وأن فى جعبتك صكوك الغفران، توزعها كما تشاء، فتغفر لمن تشاء،

وتكفّر من تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، وحاشا لله أن يبلغ بك الظن هذا المبلغ من السوء، وحاشا للإسلام أن يصل فهم البعض له إلى هذا الدرك، وليس لك ولن يكون، أن تتصور للحظة واحدة أنك وحدك حامى حمى العقيدة، والمدافع عن صحيح الإسلام، لأننا جميعا مسلمون، وكلنا عن العقيدة مدافعون، ورفضنا لتصوراتك جزء من هذا الدفاع، ورفضنا لاتهاماتك إسلام فى إسلام، ذلك أننا نفهم الإسلام على أنه دين العقل، وليس دين الجمود والنقل، ودين السماحة وليس دين التطرف، وما كانت محنة المسلمين إلا لأنهم أسلموا قيادهم لمن يفتون بحكم أكل الطين الأرمنى وراشف بزاق الصديق، (١) وحكم معاشرة الجان، وحكم من كان لقضيبه فرعان، وأتى امرأة من قبلها ودبرها فى آن، وهل يغتسل غسلا واحدا أم غسلين (فتوى الفقيه البجاوى).

الإسلام ياشيخ الأزهر بخير طالما دافع عنه من يدافع، لقاء إيمانه وليس مقابل مرتبه، ولوجه الله وليس لوجه السلطة أو المال أو المنصب، وأزهى عصور الإسلام لم تعرف شيخا للأزهر أو لغير الأزهر، وإنما

---

(١) فتوى شهيرة لمفتى الديار المصرية السابق المرحوم الشيخ عبد اللطيف حمزة عن مفسدات الصوم (١٩٨٥)

عرفت من عاش بكد يده، وتعلم من أجل العلم، وأفتى من أجل العقيدة، وناصر حرية الاجتهاد، ودافع عن حق المجتهدين فى الفتوى، ولم ينكر عليهم أو يتهمهم بالكفر أو زيغ العقيدة أو العمالة، ولقد كان واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد يفتيان بعدم قبول شهادة على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى حزمة من بُقْل، ولم يكفرهما أحد، ولم يشد على يد المختلفين معهما أحد، ولم يتهمهما بالعمالة أحد، أو يرسل لمن يتهمهما داعيا له بسلامة يمينه ..

احمد الله ياشيخ الأزهر على العيش الهنئ، والطعام المرئ، واذكره واشكره كثيرا على تخلف المسلمين، لأنه الحافظ لمنصبك ، ولا تتخيل للحظة واحدة أن أحدا سوف يسمح لك برئاسة محاكم التفتيش، وبالاتهام والقمع، وبالتهديد والمنع، واصمت نصمت، وكف نكف، لأنك إن عدت عدنا، وإن قلت زدنا، واقرأ عافاك الله قبل أن تكتب، فلعلك إن قرأت يفتح الله عليك بابا من أبواب العلم والاجتهاد، حفظك الله ورعاك، وأدام نعمته عليك، وأوسع على المسلمين كما أوسع عليك، ورزقهم كما رزقك، ونعمهم كما نعمك، وعافاهم كما عافاك، انه سميع مجيب الدعاء.

أبشر بطول سلامة يابرتا

قصة المقال : أسوأ ما يحدث لجيل جديد لم يعاصر بعض الأحداث باليقين، ولم يقرأ عنها غالبا، أن تزيف أمامه الحقائق، وأن يلبس القتلة مسوح الأبرار، وأن يتستر أصحاب الطموح السياسى وراء رايات الدين، وأن يرفع أنصار الردة الحضارية من الشعارات ما يخدع الآخرين وما يضعك فى مأزق، فكيف ترد على من يرفع شعار (الرسول زعيمنا) وأنت تعلم أنه يخفى فى سرواله خنجرا، وكيف ترد على من يعلن أن (القرآن دستورنا) رغم أنك متيقن من أنه يعد انقلابا، وكيف تواجه من يدعى أن (الموت فى سبيل الله أحلى أمانينا)، رغم أنك تعلم أنه يقصد موتك وموت كل أنصار الدولة المدنية والوحدة الوطنية، وقد تصاعدت هذه الشعارات فى الحملة الانتخابية الأخيرة، التى شاركت فيها، وارتفع معها شعار جديد هو (الإسلام هو الحل)، وهو شعار يعنى أنهم يطرحون أنفسهم على أنهم حماة الإسلام وممثلوه، وللأسف الشديد فقد ارتبك الجميع أمام الشعار، وخشى الكثيرون أن يتصدوا له أولَهُمْ، وانضم إليهم حزبان فى تحالف أسود تراجع أمامه الجميع، وانهالت أموال بعض شركات توظيف الأموال تساندهم فى حملتهم، وكان لابد من رد، فكان هذا المقال الذى نشرته مجلة المصور.

المقال : أبشر بطول سلامة يابرتا *

أما (البرتا) فهى نوع من المسدسات يفضل الإخوان المسلمون استخدامه فى حوادث الاغتيال، وأما البشرى فقد زفتها لنا صحيفة حزب العمل، حين أعلنت علينا ما أسمته (التحالف التاريخى) بين العمل والإخوان والأحرار، وهو تحالف تاريخى فى تقديرى لأنه سوف يدخل بأصحابه فى ذمة التاريخ غير مأسوف عليهم، وسوف يكون مدخلا إلى انهيار أوهام كثيرة وأقوال أثيرة لدى أصحابه ولدى غيرهم.

الوهم الأول : الودعاء المسالمون :

أما الوهم الأول فهو أن الإخوان المسلمين أبرياء مسالمون، ودعاء صابرون على العنف، مواجهون (بفتح الجيم) من أعدائهم بالعنف والتصفية الجسدية، ومواجهون (بكسر الجيم) لأعدائهم بالابتسام والدعاء بالهداية، وهى كلها مقولات تتجاوز عدم الدقة إلى عدم الصحة، ودليلى لا أسوقه من منطلق الخلاف الفكرى، وهو وارد وقائم وأصيل، وإنما أسوقه على لسان قادتهم، فصالح أبو رقيق قد اعترف فى آخر ساعة بأنهم كانوا

---

* نشر فى مجلة المصور (ابريل ١٩٨٧)

وراء اغتيال النقراشى بعد طول إنكار(١)، وحامد أبو النصر كتب فى مذكراته المنشورة فى الأحرار، عن لقائه الأول بحسن البنا الذى لمعت عيناه حين أخرج أبو النصرمسدسه، وحين ذكر له أنه السبيل الوحيد، ثم كيف بايعه البنا على المصحف والمسدس، والمبايعة على المصحف مفهومة، أما المبايعة على المسدس فلا معنى لها فى الدين، ولا منطق لها فى السياسة، ولا وجود لها إلا فى عصابات المافيا وجماعات الإخوان، لكنه هكذا كان، وهكذا يكون، فالبيعة فى الأعناق، والخواتيم من جنس البدايات، والرحى إن دارت يمينا بتلاوة القرآن، وذكر الرحمن، فلا بد لها- وفاء للبيعة- أن تدور يسارا بإطلاق البرتا وتجهيز قنابل الدخان، ولأن الجزاء دائما من جنس العمل، فقد حصد الرصاص فيما حصد حسن البنا نفسه بعد اغتيال النقراشى والقاضى الخازندار، وتفجير القنابل فى أحياء اليهود ومحلاتهم، ومحاولة نسف محكمة الاستئناف، ومحاولات اغتيال ابراهيم عبد الهادى المتكررة، ثم تولت المشانق الرد بعد محاولة اغتيال عبدالناصر فى المنشية، واستمرأ الإخوان ومن

---

(١) العدد ٢٦٩٤ من آخر ساعة (١١ يونيو ١٩٨٦) حيث صرح صالح أبو رقيق بما يلى: (نحن لم نغتال سوى النقراشى لأنه خان القضية الوطنية(؟) والمستشار الخازندار) وللقارئ أن يقارن هذا بإنكار حسن البنا لذلك فى مقاله الشهير (ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين)

دار فى فلكهم أن يكتبوا سطرا ويتركوا سطراً أو سطرين عن إيمان بأن كل شئ فى مصر ينسى بعد حين، فالحديث مكرر ومعاد عن اغتيال (الإمام الشهيد حسن البنا)، ولا حديث عن اغتيال (الزعيم الوطنى الشهيد محمود فهمى النقراشى)، أو (القاضى الشريف الشهيد الخازندار)، والأحاديث شتى عن بطولات الإخوان فى فلسطين، ولو صدق ما يدعون لتحررت فلسطين وعشر دول مثل فلسطين، لكنه السطر المكتوب أما السطر المنسى فهو أنها كانت فرصة لجمع الأسلحة وتدريب كتائب التنظيم السرى وتجنيد بعض الضباط، واختبار بعض النظريات العسكرية من نوع ما نقل إلينا عن الشيخ سيد سابق، حين أفتى مستخلصا من غزوة بدر، ما مضمونه أن يتراص الإخوان فى شكل قلب وميمنه وميسرة* وأن تتراص صفوف القلب صفا بعد صف بحيث إذا سقط الصف الأول تقدم الصف الثانى، متجاهلا اختلاف المكان والزمان والقضية والعصر، وهو ما انتهى بمصرع الصفوف صفا بعد صف، تأكيدا لعبقرية الشيخ سابق العسكرية، بعد أن بات ليلته

* تتبع الجماعات الإسلامية فى جامعة أسيوط نفس (التكتيك العسكرى) فى هجومها على الزملاء والزميلات من أنصار النشاط الاجتماعى والاختلاط مع تعديل بسيط يتمثل فى استبدال البنادق بالخناجر والجنازير..

السابقة يراجع أسلوب توزيع الغنائم والسبى فى سورة الأنفال. ودونك حديثهم عن انسحاب حسن البنا من الترشيح فى الانتخابات بعد تهديد النحاس له بمحاربته (سياسيا)، وتجاهلهم الكامل لسقوط حسن البنا فى دائرته ومسقط رأسه (الاسماعيلية) أمام الدكتور سليمان عيد فى انتخابات يناير ١٩٤٥ التى قاطعها الوفد، ظنا منه أن الساحة قد خلت له وهمت به وهم بها، لولا أن رأى برهان شعبه، ويستطيع القارئ أن يطبق ما قيل عن فلسطين على ما قيل عن معارك القناة، وما قيل عن أنهم أصحاب ثورة ٢٣ يوليو وحماتها لولا (غدر) عبدالناصر، والله يعلم وهم يعلمون، أنهم كانوا وسيلة فى يد عبد الناصر للقضاء على الوفد، وقد ساهموا فى ذلك بقدر ما ساهم آخرون، يحضرنى منهم سليمان حافظ وفتحى رضوان، وعندما انتهى دورهم المرسوم، واجهوا قدرهم المحتوم، بنفس منطقهم الغشوم، وهو منطق التصفية الجسدية، حين حاولوا قتل الرئيس فى المنشية، ففشلوا وقتلهم هو جزاء وفاقا على منصة الإعدام، وهو ما يطلق عليه فى أمثلة العرب (الجزاء من جنس العمل)، وما يطلق على شبيهه فى الكرة اسم (التعادل الإيجابى) ..

الوهـم الثانى : الإمام الشهيد:

أين هم الإخوان الآن؟، هذا هو السؤال .. والإجابة أنهم موجودون بعون الله فى الصحافة القومية، نعم، الصحافة القومية، تلك التى قضت الشهور تتحدث عن وفاة المرشد السابق، وتوقعات المرشد الجديد، وتكهنات الترشيح، واختلافات المرشحين، ورأى فلان، وقول علان، ثم أخيرا اختيار المرشد المفاجأة، بينما لو تجاهلت الأمر لما علم المصريون حتى الآن أن هناك مرشدا عاما أو مكتب إرشاد، ولاضطر المرشد الجديد إلى الدوران على أصحابه وخلانه مسرا لكل منهم فى أذنه (أنا المرشد الجديد)، ولعله كان سيستمع فى كل مرة إلى نفس الإجابة: أعطنى (أمارة)، أو قل كلاما آخر يارجل، لكنه الوهم الذى بثته الصحف والمجلات القومية وهى تتصور أنها تتسابق فى إحراز انتصارات صحفية، موهمة قراء العربية فى كل أقطارها أن شاغل المصريين الأساسى هو الإخوان، وأن همهم هو اختيار مرشدهم، وأن المصريين لن يستريح لهم بال، ولن يهدأ لهم قرار، إلا إذا اطمأنوا على اختيار المرشد الجديد ..

ولعلى أذكّر القراء أيضا بما نشرته الأخبار فى صفحة كاملة، عن ذكرى ما أسمته (الإمام الشهيد حسن

البنا)*، أما كونه إماما فمسألة فيها نظر، وأما كونه توفى شهيدا، أو قتل قصاصا فعلمه عند ربى، ولعلى أقرب إلى الاقتناع بأنه قتل قصاصا لقتل النقراشى، خاصة وأن شبهة قتله معلقة برقبة فاروق، وهو ولى الأمر بمنطقهم، لكن الأمر المؤكد أن حسن البنا كان زعيما سياسيا قبل أن يكون إماما دينيا، وأن حسن البنا شىء والشيخ شلتوت مثلا شئ آخر، فالأول رجل سياسة بلا شبهة، والثانى إمام دين بلا مراء، ومن هنا يصبح غريبا أن تفسح الصحف القومية صفحاتها لذكرى حسن البنا، لأننا كقراء وكأصحاب للصحف القومية، لا نختلف على أئمة الدين، لكنا نختلف على رجال السياسة من أمثال حسن البنا أشد الاختلاف، فيراه بعضنا إماماً فى أعلى عليين، ويراه بعضنا راسبوتين، ويراه الكثيرون بين هذا وذاك، أو مزيجا من هذا وذاك ، وهو فى النهاية ليس مثلا يحتذى أو نموذجا يقتدى به، إلا إذا كنا نسعى إلى خفض أعداد السكان بالاغتيال المنظم، أو إعلاء قيم الإرهاب والعنف والتصفية الجسدية فى مجتمعنا الآمن، أو ترويج الأسلحة المصرية بخلق سوق داخلية واسعة تغنينا عن

* حدث ذلك فى الصفحة الدينية فى جريدة الأخبار خلال المعركة الانتخابية التى خاضها الإخوان (ابريل ١٩٨٧)

التصدير، وهى كلها أمور لا أحسب أنها واردة فى ذهن قادة السياسة أو قادة الفكر .

الوهم الثالث : وحدة التيار السياسى الإسلامى :

وأعود الى السؤال، أين الإخوان الآن؟ ولعلى أستأذن القارئ فى تأجيل الإجابة قليلا حرصا منى على عنصر التشويق فى المقال، وحتى أوضح للقارئ فى البداية ما يسود الساحة السياسية من خلط فى الأوراق، دليلى عليه ذلك الخلط بين ما يسمى بالتيار السياسى الإسلامى وما يسمى بالإخوان المسلمين، لأن السائد أنهم جميعا فى سلة واحدة، وأنهم جماعة واحدة، وهو ماليس صحيحا على الإطلاق، فالأخوة المجاهدون من أحرص الناس على الشقاق، وقد كانوا أربع عشرة جماعة بحمد الله عندما اعتقلهم السادات فى سبتمبر قبيل وفاته، وقد فوجئ الحراس بأنهم يصلون فى أربعة عشرة مجموعة، بعضهم بإمام وبعضهم بدون، ويؤكد العارفون أنهم تجاوزوا الثلاثين الآن، وأنهم مستمرون فى مسيرتهم الخالدة، وأن منهم الجهاديين والفرماويين والقطبيين والتوقفيين والسماويين والخومينيين وأن الإخوان أضعف حلقاتهم، فهم ينقصون ولا يزيدون، وهم مفتقدون للصلة مع جماهيرهم الأساسية من الطلبة

والحرفيين، وبعض قادتهم إن لم يكنِ أغلبهم فى غرف الإنعاش بحكم تقدم العمر وما بذلوه من جهد لا يعرف الكلل فى تلوين التاريخ على غير لونه، وفى طمس حقائقه، وفى تبرير انحرافاته، وأنهم منذ ظهور سيد قطب متهمون بالتخاذل والمهادنة، وباحتراف السياسة وهى بدعة، ومغازلة الأحزاب وهى ضلالة، وسيلان اللعاب على مقاعد الحكم وهو إثم عظيم إن أتى بغير السيف أو تحقق بدون العنف، وأغلب هذه التيارات وهى الأكثرية، ومنها الجماعات الإسلامية لا تعرف لون بطاقة الانتخاب، ولا شكل صندوقه، ولا أسلوب ممارسته. وأغلبهم لا يقرأ الصحف حتى لا تتسلل إلى ذهنه صرعات التغريب وترهات الاستشراق، والكثيرون منهم يرون فى أوروبا مهدا للشذوذ، وفى أمريكا موطنا للإيدز، وفى الاتحاد السوفييتى مرتعا للإلحاد وهكذا تختزل الحضارة فى رموز جنسية محددة، وهم بعون الله قد أراحوا واستراحوا حين اختزلوا أيضا برنامجهم السياسى فى جملة واحدة. وهى تطبيق الشريعة، وتصوروها حلا لكل المشكلات بدءا بالإسكان وانتهاء باستصلاح الأراضى، ومرورا بالسياسة النقدية وتزايد السكان، وكفوا أنفسهم وكفونا مؤونة النقاش حول هذه المسائل الثانوية التافهة فى

تصورهم، الأساسية والجوهرية فى تصور مداركنا القاصرة.

الوهم الرابع : مظاهرات القوة :

عندما توفى عمر التلمسانى احتشد الآلاف لوداعه، وقدرهم البعض بعشرين ألفا وقدرهم البعض الآخر بعشرة آلاف، وأثار ذلك هلع بعض الساسة، وأسال لعاب آخرين، ولسوء حظى كنت فى مهمة عمل بالأردن فلم أتحقق من صحة أى من الرقمين، ولست بالمتحامل حتى أدعى أن الإخوان لا جمهور لهم، فمصر الشاسعة الواسعة، بتعدادها الهائل والمتزايد، لا تعدم أنصارا لأى فكر، بيد أنه لو صح أعلى التقديرات فهو فى النهاية لا يزيد عن نصف فى المائة من تعداد القاهرة، وإذا جاز أن تكون المقارنة بالجنازات، فأين جنازة التلمسانى مع احترامى الشديد لمقامه وجهاده من جنازة عبد الحليم حافظ ناهيك عن جنازة عبد الناصر ذات الخمسة ملايين أو يزيد، لكنه الأسلوب القديم الجديد، القلة المنظمة، فى مواجهة الكثرة المبعثرة، والأقلية المتحدة فى مواجهة الأغلبية غير المنتبهة، ومظاهرات القوة فى سبيل القوة، وأى قوة أعز لديهم منالا من الحكم، ذلك الذى يسعون إليه حتى تسبح مصر فى الظلام، وحتى تتحطم قواها وينفرط عقد وحدتها، ويتنافس المتنافسون حول

مدى العودة للوراء، وهل هو قرن أم أكثر، وهو خلاف لم يحسم بعد داخل طوائف التيارات السياسية الدينية، وحيث يرى البعض مثل حافظ سلامة (فى تصريحة للمصور) * أن العودة للوراء قرنا واحدا كافية، بينما يرى البعض الآخر أنه لا أقل من أربعة عشر قرنا للوراء تكفى لتحقق أحلامهم الحضارية.

الوهم الخامس : السعى للديموقراطية :

لست أدرى كيف يتصور البعض أن تتحقق الديموقراطية على يد من لم تكل أيديهم عن حمل السلاح، ولنقرأ رأى الكتاب والمفكريين فيهم، فهذا هو طه حسين يكتب عنهم (ما هذه الأسلحة وما هذه الذخيرة التى تدخر فى بيوت الأحياء، وفى قبور الموتى؟ ما هذا المكر الذى يكمن، وما هذه الخطط التى تدبر، وما هذا الكيد الذى يكاد، لم كل هذا الشر، ولم كل هذا النكر، ولم رخصت حياة المصريين على المصريين.. يقال أنها رخصت بأمر الإسلام الذى لم يحرم شيئا كما حرم القتل، ولم ينه عن شىء كما نهى

* مجلة المصور - العدد ٣١٦٨- ٢٨ يونيو ١٩٨٥، حيث صرح الشيخ حافظ سلامة بأن (ما كان مطبقا قبل الاحتلال البريطانى سوف يتم إن شاء الله كما كان).. ما شاء الله..

عن التعاون على الإثم والعدوان). وهذا كامل الشناوى يكتب (إننى حزين أن يوجد إنسان واحد، لا جماعة منظمة، يصنع الموت للناس ويحترف التخريب والتدمير، وأن قلبى ليقطر حزنا إذا كانت هذه الجماعة ترتكب جرائمها باسم الإسلام وتجد من يصدق دعواها..

إن الإسلام الذى يقول فى كتابة الكريم "وجادلهم بالتى أحسن"، لا يقر الجدل بالمسدسات والمدافع والمتفجرات) - راجع كتاب "حسن البنا" - الدكتور رفعت السعيد ص ٢٢٣- ٢٢٤، ولعل أبلغ مثال على موقف الاخوان من الديموقراطية ما أعلنه الاستاذ عمر التلمسانى قبيل وفاته فى جريدة الشعب من رفضه للديموقراطية لعشرة أسباب، ثم رسالته الموثقة إلى (الإمام) جعفر النميرى والتى يطالبه فيها بأن لا تأخذه الرحمة بالدعاة إلى الحرية والديموقراطية (راجع كتابنا قبل السقوط)، بينما النميرى يعدم محمود طه لمعارضته السياسية بحجة الردة، ويستتيب أعضاء حزب البعث ويحاول أن يثبت تهمة الردة فى حقهم، لدعوتهم للوحدة العربية على أساس قومى عربى وإنكارهم للوحدة الإسلامية الصحيحة (على حد زعمه).

الوهم السادس : الجذور التاريخية للتحالف :

عندما تحالف الوفد والإخوان، أقسم الاثنان بأغلظ الإيمان، أنهما كانا يدا واحدة قبل ٢٣ يوليو، وأن علاقاتهما الوطيدة ضاربة فى جذور التاريخ ويعلم الله ويعلم الاثنان أنهما طوال تاريخهما السياسى كانا على ألد الخصام، وما أشبه الليلة بالبارحة، فها نحن نرى إبراهيم شكرى يعلن أنه (لولا الملامة) لكان قد غير اسم حزبه من الحزب الاشتراكى إلى حزب العمل الإسلامى، وهاهم كتاب العمل والإخوان يتبارون فى الحديث عن أخوة أحمد حسين وحسن البنا، وتوحد أهداف الإخوان ومصر الفتاة، وتحت يدى أحد أعداد مصر الفتاة بتاريخ ١٩٤٨/٤/٥، وفيه مقال بقلم أحمد حسين عنوانه (لن يمضى عامان منذ الآن حتى يكون هذا الشيخ المشعوذ المنافق قد فقد كل أنصاره المحترمين ولم يبق معه سوى حثالة الناس)، أما الشيخ المشعوذ المنافق فالمقصود به حسن البنا، الذى يصفه المقال بعد ذلك بأنه (وثن ما فى ذلك شك أو ريب، وقد بدأ الوثن يتداعى ويترنح وبدأ أتباعه يكفرون به)، وهو أيضا (صنم سوف ينقلب عليه الذين أقاموه وعبدوه فيركلوه بالأقدام بل ويتبولوا عليه كما يبول كل عابدى الأوثان

على أوثانهم)، ثم هو يصف الإخوان المسلمين بقوله (لقد قلنا فى العدد الماضى أن الدين قد أصبح الآن وسيلة الإجرام فيقتل القاتل وهو يهتف الله أكبر ولله الحمد، ويفسق الفاسق وهو ينادى الله أكبر ولله الحمد)، وتحت عنوان (مجرم متبجح) بنفس الصفحة، وبدون توقيع بدأ المقال بعبارة (ذلك هو المرشد حسن البنا) وانتهى بدعاء نصه (فلعنة الله عليك أيها الشيخ الدجال المنافق، إننا نرفع أكف الضراعة إلى الله الذى تلوذ به أن يهتك سترك أكثر وأكثر وأن يظهرك على حقيقتك ذات يوم)..

وإذا كان ما سبق هو رأى أحمد حسين فى حسن البنا والإخوان، فإننا نتوقع أن يستحى من يتحدثون عن وحدة الحزبين فى الماضى، حجتهم فى ذلك أن الحزبين قد وحدتهما شعارات الفاشية وخلط أوراق السياسة بالدين، وهى حجة ضعيفة ومردود عليها بأنه ليس بالفاشية وحدها تتوحد الأحزاب..

وتبقى كلمة:

سوف يذهب الملايين إلى صناديق الانتخابات، ومن حقهم أن يختاروا من يشاءون، وسوف تكون اختياراتهم شتى. غير أن من واجبى أن أنبههم إلى أن أحد

الاختيارات يحتوى على (البرتا). أما الطرفان الآخران فى التحالف فموعدى مع كل منهما فى مقال تال، لا أنتقل إليه قبل أن أحذر من دخول البرتا وأشباهها إلى البرلمان، لأن ذلك يضيف إلى أعباء حراس المجلس الموقر، مهمة تفتيش النواب المحترمين بحثا عن الأسلحة، وهى إهانة لتقاليد برلمانية أصيلة، وما دام البعض يرى فى ذلك بشرى، ويتوقع للتحالف نجاحا فليس لنا إلا أن نردد مع الشاعر بعد التعديل - أبشر بطول سلامة يابرتًا..

البرنامج السرى للتحالف

قصة المقال : دخل التحالف السياسى الإسلامى (العمل والأخوان والأحرار) المعركة الانتخابية رافعا شعار (الإسلام هو الحل)، فلما رددنا عليهم بأن الإسلام على العين والرأس لكننا نريد ترجمة هذا الشعار إلى برنامج سياسى نشروا بيانا من صفحة واحدة صغيرة، احتوى ثمانى نقاط لا علاقة بينها وبين الإسلام إلا فى نقطة واحدة هى الدعوة إلى تطبيق الشريعة، فلما واجهناهم بأن برنامجهم علمانى، وأننا لم نجد حلولا لمشاكل المجتمع الحقيقية موثقة بآيات القرآن ونصوص السنة، واجهونا بردود غريبة من نوع (وهل تنكرون أن فى القرآن دواء لكل داء وحلا لكل مشكلة)، فلما ذكرنا لهم أن المسلمين قد اختلفوا وتعددت فرقهم حتى جاوزت السبعين، وكل منهم يستند إلى القرآن والسنة، وأن القرآن خالد، لكن رؤى المسلمين له تختلف، وأنه كانت للإمام على بن أبى طالب رؤية، ولمعاوية بن أبى سفيان رؤية، ولعبد الرحمن بن ملجم الذى قتل الإمام على رؤية، أقول.. لما ذكرنا لهم ذلك، عادوا إلى نغمتهم القديمة، واتهمونا بالكفر والعصيان، والردة بعد إيمان، ولم يكن أمامنا إلا صياغة برنامجهم

موثقا بأقوالهم، ولعلها المرة الأولى التى ينشر فيها هذا البرنامج، الذى اعتذرت مجلة المصور عن نشره، لأسباب قدّرتها.

المقال : البرنامج السرى للتحالف*

للقارىء أن يخلد معنا إلي قدر من الابتسام، وأن يتسرى عن المعركة الانتخابية بقدر من الفكاهة، وأن يتصور معنا ردا تخيليا من أقطاب التحالف (العمل - الإخوان - الأحرار) على ما أعلنّاه وما نعلنه وما لا نمل من تكرار إعلانه، من أنهم يبيعون لنا الوهم، ويخدعوننا بمطالبتنا بانتخابهم رغم كونهم لا يملكون برنامجا مدروسا أو غير مدروس، يواجهون به مشاكلنا بالحل، وقضايانا بالمناقشة، ولعله من الضرورى أن ننبه القارىء إلى أن تخيلنا للرد يقتصر على الصياغة، أما المضمون فموثق على لسان أصحابه، وبأقلامهم، وهو منشور فى صحف المعارضة المعبرة عنهم وليس لهم أن ينكروا منه حرفا، وليس لنا أن نضيف إليه حرفا، وحسبنا أن نذكّر القارئ بأننا فى عام ١٩٨٧، وأن بيننا وبين بداية القرن الواحد والعشرين ثلاثة عشر عاما وأن بعضا من العلمانيين فى الغرب قد ادعوا الوصول إلى

* أرسل للمصور فى ابريل ١٩٨٧ ولم ينشر

القمر، واخترعوا ذلك الشيطان الألكترونى المسمى بالروبوت، وزادوا غياً وضلالا فنقلوا ساحة الحرب إلى الكواكب، ولعله من نافلة القول أن نذكر أن ذلك كله كان نتيجة طيبعية لخلاف التيارات السياسية الإسلامية، وتمزقها ذات الغرب فى الأحرار. وذات الشرق فى العمل، وذات الجنوب فى الإخوان، وذات الشمال فى الجماعات، بينما لو توحدت، وقد توحدت، ولو صاغت برنامجها، وقد صاغته، لاهتز الشرق والغرب، وأفاقوا من غيهم أمام هذا المارد الجديد، وتساقطوا من حوله عن اليمين وعن الشمال بين راقد وقعيد.

أولا: البرنامج الاقتصادى:

لا يختلف اثنان، ولا تنتطح عنزتان، على أن المشكلة الاقتصادية هى لب المشاكل، وليت المشاكل اقتصرت على انخفاض الأجور، أو ارتفاع الأسعار وإنما أضيفت إليها مشكلة الديون، وهى أرق بالليل، وهمّ بالنهار، ولسنا نشك فى أن ذلك كله، كان عقابا من الله على غيّنا وضلالنا واستهتارنا بأوامره ونواهيه، أما حديثهم عن الميزان التجارى، أو ميزان المدفوعات، فكبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذبا،

فلا ميزان إلا يوم الميزان، حيث توزن الحسنات والذنوب، وحيث يقول المرء ياليتنى مت قبل هذا، وحيث يفر المرء من أمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، أما الحديث عن الميزانية، فهو مقبول بشرط حسن النية، ومن أين يأتى حسن النوايا، والميزانية محملة بالخطايا، وقد استن الأخ المجاهد ابراهيم شكرى سنّة حميدة أعلنها فى البرلمان، وتحدثت عنها الركبان، حين رفض مناقشة الميزانية لوجود بنود فيها محملة بوزر الفوائد الربوية، وموارد المشروبات الروحية (١)، وللأسف الشديد، كان هو المناضل الوحيد، ولو تبعه الآخرون لمرت الميزانية دون مناقشة، ولأصيب الحزب الحاكم بالكمد، حين يرى الميزانية وهى تمر بسلام، موصومة بالمخالفة للإسلام، ونحن نعد الناخبين فى المجالس القادمة، برفض مناقشة الميزانيات جملة وتفصيلا، استمرارا لمسيرة المجاهد الكبير الظافرة، وإحياء لوجه مصر الإسلامية، مصر الطاهرة.

هذا عن الميزانيات، أما عن الديون، فقد تطوع الأخ المجاهد مصطفى كامل مراد، بتوفيق من رب العباد، بوضع حل جذرى لها، أهمله الغافلون، ومر عليه

---

(١) موقف مسجل للنائب إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل فى مضابط مجلس الشعب

الكثيرون مرور الكرام، فى مقاله الافتتاحى المنشور بالأحرار، وعنوانه (كنز قارون، وهل يبحثون) (١) وفيه وضع يده على المفتاح، ورسم لنا طريق الفلاح، حين ألهمه الله بأن كنوز قارون، موجودة أسفل بحيرة قارون، وأن ما علينا إلا أن نبحث عن الكنز، فتنتهى مشاكلنا دفعة واحدة، نسدد الديون، ونملأ البطون، وتقر العيون، ويفيض الخير على ربوع وادى النيل، وقد صاغ الأخ مراد، بتوفيق من رب العباد، بحثا قانونيا وعلميا دقيقا، ذكر فيه أن مجرد اكتشافنا المفتاح، هو الفلاح كل الفلاح، فقد ورد فى القرآن، أن العصبة أولى القوة تنوء بحمل مفاتيحه، والعصبة كما ذكر لا تقل عن عشرة من الرجال، وقد أصاب الأخ مراد كبد الحقيقة حين قدر وزن المفاتيح بطنّ كامل من الذهب الإبريز، ولو - لاقدر الله - فشلنا فى اكتشاف الكنز، فإنه تكفينا المفاتيح، وقد تحسّب الأخ مراد لألاعيب الصهاينة الأوغاد، فذكر أنهم لو احتجوا بأن قارون كان نبيا يهوديا، وأن لهم حقا فى الكنز المصرى، فإن من حقنا أن نرد عليهم بأن مصاريف الوديعة فى البنوك لا تقل عن واحد فى الألف، وقد مر أكثر من ألف عام، وأصبح الكنز حقا خالصا لديار الإسلام، أما عن البركة

(١) المقال الافتتاحى لجريدة الاحرار (٧ يوليو ١٩٨٦)- راجع ملحق رقم ٢

التى ينكرها العلمانيون، ومن هم فى فلكهم سائرون، والتى نسعى اليها بعون الله، ويمنحها الله لعبادة المخلصين، من أمثال الإخوان المسلمين، فلنا عليها شاهد ودليل، وليس ببعيد ما حدث فى السويس، على يد الأخ حافظ سلامة، الذى وزع على الآلاف كعكا من صندوق صغير، فلم ينفذ الكعك، وشبع الجميع، وظل الصندوق ملآنا كما هو، لا يفرغ منه مداد الكعك، ولا تهتز فوقه ابتسامة الشيخ الجليل (راجع معجزات الشيخ سلامة فى كتاب "الشيخ حافظ سلامه" للدكتور محمد مورو - دار المختار الإسلامى)، أما ما يشيعه المغرضون، عن اشتراكية بعض المشاركين فى التحالف، أو رأسمالية البعض، فالله يغفر الذنوب جميعا عدا أن يشرك به، والأحرار قد رفعت من اسمها لفظ الاشتراكى، وحزب العمل قد أسقطها من مفرداته، وقد اعترض البعض ممن فى قلوبهم مرض على ذلك، فنبذهم الأخ شكرى نبذ النواة، وتركهم يرفعون القضايا، ورب ضارة نافعة، فقد أزالوا بموقفهم أى لبس، وأخرسوا كل همس، وفى ختام البرنامج الاقتصادى وختامه مسك، نعرض عليكم أيها الناخبون هذا التلخيص (يفضل بعض الإخوة استعمال لفظ البهريز):

الله واحد : رفض مناقشة الميزانية فى البرلمان

ليس له ثان : البحث عن كنوز قارون فى محافظة الفيوم لسداد ديون مصر.

ولا ثالث : حلول البركة بحكم أصحاب الأيدى الطاهرة.

ثانيا: البرنامج السياسى:

لا يختلف اثنان ولا تنتطح عنزتان، على أن المشكلة السياسية هى لب المشاكل، وأن قضية إسرائيل تقع منها فى موقع القلب، ولعل موقف الإخوان المسلمين واضح فى هذه القضية، فحربنا معهم حرب دينية، وهم يسعون إلى الانتقام من هزيمة بنى قريظة، وقد اعترف الأخ مراد بخطئه عندما زار الدولة المزعومة، وفسر موقفه بأنها من ديار الإسلام، وأعلن بملء فمه رفض السلام، كما أن الأخ شكرى بعد أن وافق على اتفاقية معسكر داوود، أعلن موقفه المحمود، بسحب التأييد، والإدانة والتنديد، وبقى الإخوان على رأيهم ثابتين وبعدائهم مستمسكين، وقد صاغ الأخ الحمزة دعبس، مرشحنا فى الجيزة، ووكيل حزب الأحرار، ورئيس تحرير جريدة النور، مقالا كأنه اللؤلؤ المنثور،

نشره فى جريدته الموقرة (١)، فى عبارة ساحرة، أوضح فيها الحل الإسلامى للقضية، ورتبه فى ثلاث مراحل، أولاها انتهاز فرصة وجود تمثيل دبلوماسى للعدو فى مصر، واستدعاء السفير، وإرسال رسالة إلى رئيس الدولة من رئيس مصر، يعرض فيها عليه الإسلام، فإن قبل فأهلا بها ونعمت، وهنا يصح السلام، وينتهى العداء، ويحق لدولة إسرائيل البقاء، أما إذا رفض الإسرائيليون العرض فليس لنا إلا أن نفرض عليهم الجزية، يدفعونها عن يد وهم صاغرون، فإذا رفضوا فقد أدينا واجب الإسلام، ورفضوا هم السلام، وحل لنا قتل رجالهم، وسبى نسائهم، واسترقاق أبنائهم، ويا أيها الناخبون كم هم علينا مفترون، وكم يقولون ما لا يفعلون، وكم يدعون أننا معتدون، وهذا عن دولة بنى صهيون، أما عن باقى السياسة الخارجية، فقد نشر الأخ يوسف البدرى وكيل حزب الأحرار ومرشح التحالف الفردى عن دائرة جنوب القاهرة، مقالات ساحرة، نشرتها له جريدة الأحرار الظافرة، أفصح فيها عن واجب المسلمين فى إعلان الحرب على بلغاريا وأسبانيا، باعتبارها ديارا للإسلام، منتهكة حرية العقائد فيها على

(١) مقال افتتاحى للأستاذ الحمزة دعبس فى جريدة النور.

يد الحكام، وسوف يكون إعلان الحرب أول ما نفعل، فى توقيت نخفيه، لأن الحرب مفاجأة، والكف السابق سابق، أطال الله عمر الشيخ سيد سابق، فقد كان مناضلا عظيما، ومجاهدا فى سبيل الله فى تنظيماتنا العلنية والسرية، ولكم منا فى النهاية البهريز، الموجز فى عبارات مباركة كأنها الذهب الإبريز:

الله واحد - حل قضية إسرائيل إسلاميا

ليس له ثان- إعلان الحرب على بلغاريا وأسبانيا.

ثالثا: البرامج الثانوية:

لا يبقى أيها الناخب الكريم إلا ان نتوجه إليك ببرامجنا فى بعض القضايا الثانوية، التى ليس لها أهمية، مثل الإسكان والتعليم والوطنية، وأهم ما فيها التعليم، وآفة التعليم ما جناه اللورد كرور على تدريس التاريخ، حين صاغه على غير حقيقته، وأفسح صفحاته لحياة الفراعين، الكفرة الآثمين، وقد بذلنا جهدا رائعا فى تصحيح الحقائق، منها ما نشر على لسان مرشحنا السابق الذكر، الشيخ يوسف البدرى فى جريدة النور، حين سأله أخ مسلم عن اسم فرعون موسى، فأجابه - لافض فوه - بأنه قابوس بن مصعب بن معاوية، وقد

خلفه الوليد بن مصعب وزوجته أسيه، وقد استند فى هذا إلى كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كما أن التليفاز المصرى قد ساهم معنا بجهد مشكور، حين عرض فى شهر رمضان العظيم، فى العام الماضى مسلسلا أسلم جميع الفراعين فى نهايته، وهكذا يكون الانتصار لدين الله القويم، ومادمنا فى مجال الحديث عن التعليم فسوف تتم أسلمة برامجه، وسوف تستنبط جميعا من الكتب الصحاح، مثل صحيح البخارى وصحيح مسلم ومسند ابن حنبل وكتب السنن المعترف بها، والخالية من الإسرائيليات، وسوف نطلق على كل منها اسما إسلاميا فتسمى الكيمياء علم القوارير الإسلامية، وتتردد على المسامع تسميات الهندسة الإسلامية والچيولوچيا الإسلامية والطب الإسلامى، ومما هو جدير بالذكر أن التسمية الأخيرة قد شاعت بجهد مشكور من نقابة الأطباء، نتيجة جهاد دؤوب من الإخوة المجاهدين فى النقابة.

أما قضية الإسكان، فهى مصطنعة، فقد هجرنا الخلاء، وتباعدنا عن سلف صالح افترش الغبراء، والتحف السماء، وعز عليه الغطاء، ولم نسمع أن أحدا

(١) جريدة النور – العدد ٢٥٥ – بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٨٧ – راجع الملاحق

منهم شكا من حر، أو ارتجف من قر، وقد أصدر الإخوة المجاهدون فى المنيا منشورا إسلاميا هاجموا فيه سخف الإنفاق على المجارى، ودعوا فيه إلى الاقتداء بالسلف الصالح فى قضاء الحاجة فى الخلاء، فلم يستمع اليهم مسئول، وهو أمر تحار فيه العقول، ولا تبقى إلا السياحة، تلك التى ضج الجمهور مما تنقله من إباحية وشذوذ وأمراض أهونها الإيدز، وسوف يكون أول قرار لنا منع السياحة الخارجية، وقصرها على السياحة الداخلية، التى لا مجال فيها إلا لزيارة القبور، دواء لضيق الصدور، والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين. عزيزى الناخب

انصر الإسلام بتأييد التحالف، وطبق مبدأ حالف تعرف، وأعطنا صوتك تحصل على الجنة.

عزيزى القارئ

ما سبق كان تجميعا لمقالات منشورة، وأقوال مكتوبة وموثقة لدىّ، وليس لأحد أن يعترض على جزء واحد من البرنامج السابق بحجة أنه منسوب إليهم فهو صادر عنهم ومنشور فى صحفهم، وقد أجهدت نفسى فى جمع مفرداته صانعا منها برنامجا سياسيا

ليس لى فيه إلا جهد التجميع، ولأنهم توجهوا إليك فى منشوراتهم بعبارة (الإسلام هو الحل)، فإنى استسمحك فى أن أتوجه إليهم نيابة عنك بسؤال محدد وبسيط هو: هل هذا هو الإسلام، وأتركك وصوتك، وأتركهم وضمائرهم، على وعد بلقاء.

وختانه مسك

قصة المقال: قصة هذا المقال مضحكة مبكية، فكلنا يعرف أن الفيلسوف الفرنسي الكبير روجيه جارودى قد أشهر إسلامه، وأسمى نفسه رجاء جارودى، واستقبل فى كل بلد إسلامى حل فيه استقبالا يليق بتاريخه ومواقفه .. بيد أن الجماعات الإسلامية فى مصر استقبلته استقبالا آخر، حين أصدرت منشورا شككت فيه فى نواياه، وحاولت إثبات أنه دسيسة لخداع المسلمين، ودعت المسلمين، حسما للشك، إلى التيقن من صدق إسلام الرجل، بختانه، فإن قبل وسعد بذلك كان صادقا، وإن رفض وأبى فقد انكشفت حيلته، وللعلم فإن عمر جارودى قد تجاوز الثمانين، وللعلم أيضا فإن عنوان المنشور كان (امتحنوه بالختان)، ومن هنا أتت تسمية المقال (وختانه مسك)، وقد نشرته جريدة الأهالى، ونشرت جريدة فرنسية إشارة لمضمونه، والطريف أن الفيلسوف الفرنسى الكبير لم يزر بعدها القاهرة أو غيرها من العواصم العربية، تحسبا من المفاجآت، ومعه حق.

المقال : وختانه مسك *

ليس فى العنوان خطأ إملائى أو مطبعى، فالمقصود هو الختان، وليس الختام، ولست طبيبا أو فقيها فأتطوع بالحديث عنه طبيا أو فقهيا، وإنما أنا مجتهد يفزعه ما يفزع الناس، ويؤلمه أن يتدنى البعض فى عرضه لأفكاره، وفى شجبه وإنكاره، فيرى العالم من خلف نظارة حمراء، ويصيب إدراكه ذلك الموات الذى لا يميز معه بين المقبول وغير المقبول، والمسئول وغير المسئول، والمعقول وغير المعقول، ويتبلد إحساسه فلا يعرف لأصحاب الفكر تقديرا، ولا لأصحاب المواقف توقيرا، ولا يرعى وهو يفعل ذلك حرمة لمقام أو لمقال أو لعمر أو لتاريخ ..

ما هى الحكاية؟

الحكاية ببساطة أن المفكر الفرنسى الكبير جارودى قد أشهر إسلامه وسعد بذلك المسلمون، وترجمت كتاباته عن هذه التجربة إلى العربية، واستقبل فى كل بلد إسلامى بما يليق بفكره وموقفه من حفاوة وتكريم، وكان طبيعيا وسط ذلك كله أن يسعى اليه الصحفيون، وأن

* نشر بجريدة الأهالى بتاريخ ١٣ يناير ١٩٨٨

يحاوروه ويحاورهم ويستفسروا منه ويجيبهم، وهنا بدأت المشكلة، وهى مشكلة ليست سهلة أو محدودة، وإنما هى من المشاكل المركبة، تلك التى تتعدد أسبابها وتتنوع نتائجها، وإذا كان السبب الظاهر هو تصريحات جارودى، فإن الأسباب المستترة متعددة، فواحد منها يتمثل فى التركيبة الذهنية الأوروبية المتحررة، وواحد منها لا يقل أهمية يتمثل فى توقيت صدور هذه التصريحات، حيث صدرت عنه وقت أن تصور الساعون إلى تحويل المجتمع إلى دولة دينية أنهم قاب قوسين أو أدنى من بلوغ غايتهم، وفى أوج انشغالهم بتوظيف كل فعل، وتطويع كل قول بما يخدم أهدافهم، فإذا بجارودى، الذى أشهروه برهانا، ينفجر فى وجههم بركانا، معلنا أنه لا يعتقد بوجود نظرية سياسية فى الإسلام، وهو رأى يراه البعض منطقيا، ويراه البعض الآخر علمانيا، ويراه البعض الثالث - حلاً للإشكال - اجتهادا فى الفروع وليس فى الأصول، بينما يراه البعض الأخير، وهم المتطرفون ومن جرى جريهم، انكارا لمعلوم من الدين بالضرورة، يستتاب صاحبه إن أتاه جهلا، ويقتل إن لم يرجع عنه، ويهدر دمه إن استمرأ غيه ولاذ بديار غير المسلمين ..

لا بأس أن نذكر للقارئ أن المتطرفين، كعادتهم،

كانوا أعلى صوتا، وأشد نكيرا، وأقل تفكيرا، وأسرع تكفيرا، وقد بدأوا حملتهم بمقالات منَ نوع (زيغ العقيدة لدى جارودى)، (جارودى يفتقد شروط الاجتهاد)، وما أن سمعوا أن الأزهر قد اعترض على إذاعة أحد أحاديث جارودى فى التليفزيون حتى تنادوا بحديث الختان، ذلك الذى أنقله للقارئ، دون أن يكون لى فضل إلا أمانة نقل البيان ..

لقد أصدرت (الجماعة الإسلامية فى المنيا) بيانا عنوانه (امتحنوه بالختان)، تحدثت فيه عن (المدعو جارودى، الذى اشتق اسمه من جارود ومعناها بالعربية الفصحى مشئوم، وهو ليس أول جارود يبتلى به الإسلام ولن يكون آخرهم، فقد سبقه الجارود بن زياد بن أبى زياد الذى تنسب إليه فرقة الجارودية، إحدى فرق الزيدية الزائغة)، وبعد وصف مسهب وطنان لمؤامرات الإمبريالية العالمية والشيوعية الدولية ضد الإسلام، وكيف أنها بعد أن فشلت فى مواجهته ندا لند، ورجلا لرجل، وسيفا لسيف، قررت اختراقه من داخله ومحاربته بسيف المسلمين وتحت مظلة الإسلام، انتهى البيان برمى قفاز التحدى فى وجه الجارود، موجها حديثه الى جماعة المسلمين، مختصرا إياه فى كلمتين (امتحنوه بالختان)، مؤكدا (أننا - يقصد الجماعة - لا

نرى فى هذا الأمر تضحية بل دليلا، ولا نطلبه امتحانا بل برهانا، ولا نقصده إذعانا بل عرفانا، ومعاذ الله أن يخشى العبد عذاب ساعة، إذا كان حقا يخشى عذاب الساعة).

انتهى البيان الذى قرأه المئات، وبقيت الأسئلة الحائرة حول تفكير المصدرين له، وأسلوبهم فى حوار المختلفين معهم، ومواجهتهم للفكر بالختان، وذكائهم وألمعيتهم اللذين يدفعان بالإنسان إلى ما يشبه البكاء..

هل يلومنى أحد بعد ما سبق، إذا اعتذرت عن التعليق على البيان بما هو أهل له، وإذا ذكرت أن البيان والعنوان يغنيان عن التعليق، وأنهما نموذج فذ لاختلاط الملهاة بالمأساة فى أقل عدد من الكلمات، والنباهة بالبلاهة فى أقل عدد من السطور، أما المأساة فليست فى حاجة إلى بيان، وأما الملهاة ففى تخيل جارودى فى ثوبه الفضفاض، وأما النباهة فحدث ولا حرج، وأما البلاهة فاحزن مثلى بلا حدود، ومادام عنوان البيان وخاتمته قد تكررت فيهما كلمتان لا ثالث لهما وهما (امتحنوه بالختان)، فلا أقل من أن نرد عليهم التحية بأحسن منها، معنونين مقالنا وخاتمتين له، بكلمتين لا ثالث لهما وهما "وختانه مسك".

دعنا نرفع الكلفة فيما بيننا

قصة المقال : هذا مقال أرجو أن لا يسئ القارئ الظن بألفاظه، وأن لا يحملها أكثر مما تحتمل، وأن لا يتصور فى اختيار الألفاظ خبثا أو فى تركيب الجمل تخابثا، وللمقال قصة، فهو للرد على الأستاذ محمد الحيوان نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية، ليس على مقال واحد فقط، وإنما على فقرات متناثرة فى مقالات شتى على مدى فترة زمنية طويلة، كان يحلو له فيها أن يغمز فى شخصى أو فى أفكارى غمزا موجعا، ومن أمثلة ذلك ما ذكره مرة من أنه جلس مع الأستاذ فؤاد سراج الدين رئيس حزب الوفد وذكر له أن وجودى فى الوفد (وقت أن كنت فيه) سوف يؤدى إلى هروب الوفديين وفقد الحزب لشعبيته (هكذا)، والطريف أنه نشر ذلك بلا مناسبة وبعد تركى للحزب بأعوام، وشاءت المصادفة أن تجمعنى به فى مكتب الأستاذ محفوظ الانصارى رئيس التحرير فإذا به ينشر قصة مختلقة عن حديثى معه وحديثه إلى، ثم يعلن فى مقاله أننى أخدع الناخبين بعدم إعلان برنامجى الحقيقى الموجز فى إطلاق حرية الزناة والسكارى وكان ذلك فى أحرج لحظات المعركة الانتخابية، وكرد مهذب عليه، نشرت هذا العتاب الرقيق فى جريدة الأهالى.

المقال : دعنا نرفع الكلفة فيما بيننا *

فى أحرج أوقات المعركة الانتخابية، تطوع الأستاذ محمد الحيوان، فى عموده (كلمة حب)، بنشر حوار دار بيننا فى مكتب الأستاذ محفوظ الانصارى مختلقا نصف ما نشره، مدعيا بعض العبارات على لسانى، ذاكرا أننى لن تعوزنى الشجاعة (على حد قوله)، لإعلان أن برنامجى مختصر فى نقطة واحدة هى (عدم تطبيق الشريعة الإسلامية)، مضيفا من عنده ما تصور أنه دوافعى إلى ذلك، وهى على حد ما كتب، إطلاق حرية السكارى والزناة، ورغم الاختلاق وسوء العبارة والتوقيت، فقد رددت عليه بخطاب غاية فى الرقة، تعمدت فيه أن أقترب منه بالصداقة ردا على ابتعاده عنى بالعداء، داعيا إياه إلى إزالة ألفاظ التفخيم من حوارنا، من نوع الأستاذ الكبير أو الدكتور ومازلت أتذكر الفقرة الأولى من خطابى له حيث ذكرت (دعنا نرفع الكلفة فيما بيننا فتنادينى "يافوده" وأناديك "ياحيوان")، ورغم رقة العبارات ورغم تذكيرى له بأن عهدى به أنه وفى ولطيف وأليف، فإنه لم يتطوع بنشر الرد، أو حتى بذكر أسباب عدم النشر ..

لقد تذكرت ما سبق، وأنا أقرأ له فى نفس العمود،

* نشر فى جريدة الأهالى بتاريخ ٩ سبتمبر ١٩٨٧

تعليقا عن مؤتمر قضايا الساعة الأمنية، والذى عقد بأكاديمية الشرطة، ينحو فيه باللائمة على المشرفين على المؤتمر، لدعوتهم بعض الأفراد ممن (على حد قوله) يضمرون عداء واضحا ليس للتطرف بل للإسلام، وبصفتى أحد المشاركين فى المؤتمر، أود أن ألفت نظره إلى أن تهمة العداء للإسلام لا تلقى هكذا على عواهنها، وأن أحدا فى المؤتمر لا يكن للإسلام عداء، إلا إذا كان الحيوان يعتبر قتل الأبرياء، وسرقة محلات الصاغة، وحرق محلات الفيديو، وترويع الآمنين بالرشاشات والقنابل، إسلاما فى إسلام، أو يرى فى الهجوم على هؤلاء هجوما على الإسلام الحنيف، ولعله يدرك أيضا أن قضية تطبيق الشريعة قضية خلافية، وأن البعض يرى أنها مطبقة بالكامل، والبعض الآخر يرى أنها مطبقة فى الغالب، والبعض الثالث يرى أن تعطيل إقامة الحدود منهج وارد منذ عهد عمر بن الخطاب، وأن قضية تطبيق الشريعة جزء من كل، هو إقامة الدولة الدينية الإسلامية، التى تمثل فى رأيى عبئاً على الدين وانتقاصا منه وليست إضافة إليه، وليرجع إلى كتابى (الحقيقة الغائبة) لكى يدرك ذلك من خلال حقائق التاريخ، وحقائق التاريخ لا تكذب، بيد أن البعض يقرأ ولا يفهم، والبعض لا يقرأ رغم أنه يفهم، والبعض لا

يقرأ ولا يفهم، ولعل الأستاذ الحيوان لا يدرك أن الدعوة لتطبيق الشريعة تمثل دعوة لقلب نظام الحكم، لأنها تستبدل إطار الدولة المدنية، حيث الاحتكام إلى الدستور والقانون بإطار الدولة الدينية، حيث الاحتكام إلى هوى المفسرين للقرآن والسنة والمزايدين عليهما دون أن يقدموا لنا حتى الآن، برنامجا واضحا ومحددا للحكم، يكفل حرية الرأى والعقيدة، ويحترم إرادة الشعب، ويقيد سلطة الحاكم، ويكفل لجميع المواطنين المساواة فى الحقوق والواجبات، ولا ينسف تراثهم التاريخى فى الانتماء للوطن والذود عنه والولاء له ..

وياعزيزى الحيوان، هون عليك ولا داعى للشراسة فى انتقاء الألفاظ، فالعدو الحقيقى للإسلام هو من لم يجتهد لعصره، ومن لم يستوعب دروس التاريخ، ومن يلوح باتهامات الكفر ونحن على البر، فما بالك لو خضنا معه فى لجج ابن تيمية، ودوامات المودودى، وعواصف سيد قطب، وعواطف عمر عبد الرحمن، ومعذرة إذا ناديتك باسمك مجردا، فأنا ساع إلى صداقتك، ومزيل لأى قدر من الكلفة بيننا كما ذكرت، وسوف أكون فى غاية السعادة إذا خاطبتنى باسمى مجردا (يافوده) تماما كما أسعد بمناداتك باسمك مجردا (ياحيوان).

أحمدك يارب

قصة المقال : فجاة احتلت الصفحات الأولى من الصحف اليومية أنباء القبض على تنظيم خطير اسمه رنان ومثير، وهو (تنظيم إنكار السنة)، وللوهلة الأولى لم أعر الخبر التفاتا لكثرة ما تعودنا قراءته عن تنظيمات العنف المسلحة والمدثرة برداء الإسلام، وتركت الصحف لكى أعود إليها لقراءة التفصيلات (كعادتى) فى المساء، وما إن بدأت القراءة وأنا مستلق على الفراش حتى نهضت جالسا، ومع متابعة السطور نهضت للجلوس على مكتبى، وبدأ إشعال السجائر واشتعال الأعصاب، فزعيم التنظيم الخطير (على حد قول الصحيفة) أستاذ بجامعة الأزهر، له رأى (مجرد رأى) فى مدى حجية السنة إذا اختلفت مع نصوص القرآن الكريم أو تعارضت معها، وأسلحة الرجل لم تزد عن كتب نشرها، وفصله الأزهر من الجامعة بسببها، وهى كتب متداولة فى الأسواق، وآراؤه فى مجملها لا تختلف ليس عن رأيى فقط، بل عن رأى الإمام أبى حنيفة، لكن ماذا تفعل لجهاز مباحث أمن الدولة، الذى نصب نفسه حاميا لحمى ما يتصور أنه

صحيح العقيدة، متجاوزا فى ذلك ما أتصور أنه صحيح الدستور والقانون، وقد نشر المقال فى جريدة الأهالى وأفرج عن الدكتور أحمد صبحى منصور بعدها بأسبوع، وسعى الرجل إلىَّ ليشكرنى، فاصبحت صداقة أعتز بها، وأعتز بالمقال من أجلها

أحمدك يارب *

المقال : إن صح ما نشرته الصحف القومية، وأغلب الظن أنه صحيح، لوجب علينا أن نحمد الله كثيرا على أن الإمام البخارى لم يكن معاصرا، فقد أهدر الرجل نحو ثلاثمائة ألف حديث منسوب للرسول، ولو فعل هذا فى أيامنا هذه، لحاصره البصاصون فى مباحث أمن الدولة، ولحاكمه المتخصصون فى نيابة أمن الدولة، ولأنزلوه وتلاميذه فى زنازين سجون الدولة، ولاتهموه - صدق أو لا تصدق - بتشكيل جماعة سرية غير مشروعة تناهض المبادئ الأساسية للدولة..

الحمد لله كثيرا، فقد ظهر الإمام أبو حنيفة فى عصر غير العصر، وفى بلد غير مصر، فقد كان الرجل شجاعا فى إنكاره للأحاديث غير الموثقة، حتى قيل أنه

* نشر فى جريدة الأهالى بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٨٧

لم يصح لديه إلا ستة عشر حديثا، وقد كان للرجل تلاميذ ومريدون، سعوا إليه دون خوف من رقيب، ونقلوا عنه دون لوم أو تثريب، ووثقوا مذهبه دون أن يتهموا بالخروج على الشرعية أو بتشكيل جماعة سرية، ولو حدث هذا فى أيامنا الغبراء، لذاق أبو حنيفة من الهول ما تتحدث به الركبان، ولكان اليوم وراء القضبان، ولترحم فى محبسه على الخليفة المنصور، وهو يقضى فيه الشهور وراء الشهور، منتظرا فتوى علماء الأزهر، وفتواهم معلومة ومكررة ومشهورة، فما أيسر ما يتهمون بالردة، وما أسرع ما يصمون المجتهدين بإنكار معلوم من الدين بالضرورة..

يرحم الله الجميع، ويرحمنا معهم، فقد تذكرناهم ونحن نقرأ فى الصحف غير مصدقين، عن الإمساك بتلابيب جماعة تنكر السنة، وقد فزعنا لهذا الانكار أشد الفزع، وقرأنا فإذا بالفزع يصبح محنة، وإذا بالإتهامات تتوالى فوق رؤوسنا، نعم فوق رؤوسنا نحن، فكل اتهام مردود عليه، وكل إدانة وسام على صدر المدان، بل إدانة لمن اتُّهم، ومن أدان..

لقد ذكروا أن المتهم الأول أستاذ فى الأزهر الشريف (١)، وأنه فصل من عمله نتيجة لاعتقاده، أى

(١) الدكتور أحمد صبحى منصور-أحد الرموز الفكرية المجتهدة المستنيرة

أنه بمنطق رجال الدين مؤهل للإجتهاد، وأنه بمنطقه هو مصرّ على اجتهاده إلى درجة فقده لمورد رزقه، وقد زف إلينا الخبر بشرى ضبط (عدد كبير من الكتب التى ألفها وكلها تضم أفكاره المنحرفة)..

المضبوطات إذن كتب وليست مفرقعات، وأراء وليست قنابل، وأفكار وليست طلقات، بيد أن الخبر يشير إلى أنها أفكار منحرفة، وقبل أن نتساءل عمن يملك الوصم بالانحراف، وقبل أن تستبد بنا الأوهام، ننقل ما ورد على لسان المتهم الأول فى صحيفة الأهرام، فقد ذكرت الصحيفة بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٧ أنه قد ورد فى أقوال المتهم (أن ما لا يتفق مع القرآن الكريم من أحاديث يبرأ منها الرسول، وأن سنة الرسول الحقيقية هى تطبيقه الفعلى والقولى) وأن منطلقه إلى هذا التمحيص هو شكه فى قطعية نصوص السنة نتيجة لجمعها بعد أكثر من مائة عام من وفاة الرسول، وتضيف الصحيفة أن المتهم (قد ادعى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه منع أن تكتب الأحاديث)..

أما تدوين السنة بعد أكثر من مائة عام من وفاة الرسول فحقيقة يعرفها طلاب الإعدادية الأزهرية..

وأما نهى عمر رضى الله عنه عن كتابة الأحاديث

فمعلومة تثبتها كل كتب التاريخ الإسلامى ..

وأما مطابقة السنة القولية أو الفعلية على القرآن الكريم فمنهج لا يختلف فيه اثنان، وبتعبير رجال الأزهر، لا تنتطح فيه عنزتان، بل وأكثر من ذلك فإنه منهج موثق بأحاديث الرسول فى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة والنسائى وابن حنبل والدارمى..

لكن هذا كله لا يشفع للقابعين فى لاظوغلى، ومادام اسم لاظوغلى يوحى بأنه تركى الأرومة، فليتعامل فقهاء لاظوغلى مع المفكرين بمنطق: انتى بتشتغلى إيه ياخلبوصة..

لا بأس، بل البأس كله حين نقرأ فقرة أخرى فى حيثيات الاتهام، تذكر أن المتهم قد (ادعى أن القرآن الكريم لم يأت بحكم القتل على المرتد)، وهى فقرة مضحكة مبكية، لأن ما ذكره الرجل ليس ادعاء بل حقيقة، وكان الأحرى بمن وصف هذا القول بأنه ادعاء أن يتحرى، وأن يقرأ القرآن، وأن يعود إلى كتب الفقة وأقوال الفقهاء، حتى يعلم أن حد الردة غير موثق بالقرآن، وأنه موثق فقط بحديثين منسوبين للرسول.

وأن الأهم من ذلك كله، والمتيقن قبل ذلك كله، أن نصا واحدا فى القرآن لم يرد، وأن المتهم بهذا القول ليس متهما، والمدعى بهذه الحقيقة ليس مدعيا، وأن على المدعى بعكس ذلك أن يثبت ادعاءه بنص قرآنى، وهو لن يثبت لأنه لن يجد..

حسنا، بل ليس بحسن على الإطلاق، وعفوا إذا أزعجنا القارئ بتكرار نص الاتهام وهو (تشكيل جماعة سرية غير مشروعة تناهض المبادئ الاساسية للحكم)..

أما أنها جماعة سرية، فنص الخبر يوحى بغير ذلك، فدعوة الرجل موثقة فى كتبه المنشورة على الملأ..

وأما أنها جماعة غير مشروعة، فهو خبر جديد، وبشرى تزفها إلينا مباحث أمن الدولة، فحواها إغلاق باب الإجتهاد، لأنه غير مشروع حتى للمؤهلين له، مهما كانت أسانيدهم الفقهية، أو حججهم الشرعية..

ويبقى الأهم والأخطر، وهو أن الآراء السابقة تناهض المبادئ الأساسية للحكم، أية مبادئ؟ وأى حكم؟

هل خالف هؤلاء الدستور.. وإذا كانوا خالفوا، فأى نص؟

هل خرجوا على القانون؟ وإذا كانوا قد خرجوا

فأين هو القانون الذى يمنع مسلما من الاجتهاد ومفكرا من إبداء الرأى؟

لا بأس أن نكرر ما بدأنا به الحديث، وهو أن نحمد الله كثيرا، فمثل هذه القضية دعوة صريحة لمراجعة الأجهزة لدورها، ومراجعة الدولة لسياستها، إن كان ما حدث تعبيرا عن هذه السياسة وهو ما لانظن..

ليس دور مباحث أمن الدولة أبداً ولن يكون، أن تضع على رأسها عمامة، وأن تفتش عن الإيمان فى القلوب، وإنما دورها أن تحارب الخروج على القانون وأن تواجه العنف والإرهاب، وأن تكفل ما نص عليه الدستور من حرية الفكر والعقيدة..

ليس دور مباحث أمن الدولة أبدا ولن يكون، أن تصادر كتابا أو تحجر على فكر، أو تقبض على حروف، وإنما دورها أن تصادر قنبلة، وأن تحجر على مطلقى الرصاص، وأن تقبض على حاملى الكلاشينكوف..

وليس لنا إلا أن نتساءل عن الفرق بين حكومتنا الرشيدة، ومنهجها السديد، وبين ما فعلته حكومة النميرى فى السودان، حين حاكمت محمود طه، وأعدمته بذات التهمة التى توجه اليوم إلى متهم

جديد، وبنفس الأسلوب..

إن القضية المطروحة على الرأى العام اليوم، تضعنا جميعا على مفترق طريقين، إما أن نكون متحضرين، أحرارا فيما نفكر فيه، طلقاء فيما نعتقد فيه، وإما أن نتعشق القيد ونتغزل فيه، ونتجاهله إذا لم يطبق على أيدينا فيطبق عليها ذات يوم قريب..

وحتى نتجنب هذا اليوم، فلنتخيل دائما ما حدث من قائد القوة التى فتشت منزل المتهم، ولنتصوره وهو يقفز فرحا، ويهتف مرحا: كتب، أراء، أفكار، اجتهادات..

أحمدك يارب..

نكون أو لا نكون

قصة المقال : فجاة توالت العمليات الإرهابية، وانهال رصاص المتطرفين على حسن أبو باشا والنبوى اسماعيل وزيرى الداخلية السابقين ثم على مكرم محمد أحمد الصحفى الشهير، وكان لدوى الرصاص فعل السحر، فقد صمت الجميع، ثم بدأت المقالات فى الصحف القومية والصحف الحزبية، وكلها تحمل نغمة واحدة، وهى دعوة الدولة إلى ضبط النفس، وكان أطرف ما نشر فى هذه الفترة أن ظهور الجناة باللحى والجلباب دليل نفى للتهمة وليس دليل إثبات، وهكذا، ولأكثر من شهرين كاملين، ترجمت المقالات المتتالية تلك الحكمة الشهيرة (انج سعد فقد هلك سعيد)، ولست أدعى أننى كنت أشجع الشجعان، لكنى أؤكد أن المقال التالى الذى نشر بجريدة الأهرام كان أعنف مقال عكسى ضد هذه الموجة، تلك الموجة التى ربما فسَّرت وضوحه وحدته وعنفه، وبررت محتواه، وقد أحدث المقال أثره -كما توقعت- وعندما قبض على الجناة كانوا من الجماعات الإسلامية - كما توقعت أيضا - وكان اسمى ضمن قوائم الاغتيال المضبوطة لديهم - كما توقعت دائما.

المقال : نكون أو لا نكون *

من واجبى أن أذكّر القارئ بمسلسل المقالات، التى حاولت (تطوعا) دفع التهمة عن الجماعات الإسلامية فى محاولة اغتيال أبو باشا، واستسهلت نسبتها إلى قوى خارجية، أمريكية أو إسرائيلية، أو قوى داخلية علمانية، ووصل بها الأمر إلى التأكيد على أن أىّ تصريح للداخلية ملفق، وأى بيان للجماعات مصدق، ولم يشذ عن هذا الشذوذ إلا ثلاث مقالات لمكرم وبهاء الدين والدالى، وقد وصل الرد إلى مكرم بالبريد المستعجل(١)، أما علم الوصول، فأحسب أن أحدا من كتاب المسلسلات السابقة لا ينكره، وإذا كان من حق هؤلاء الكتاب وأغلبهم نجوم إعلاميون فى الصحف القومية، أن يلبسوا ثياب ملائكة الرحمة، وأن يعلنوا خوفهم من لجوء أجهزة الدولة (القاسية) إلى عنف الرد، فإن من حقنا عليهم أن نسألهم عن دوافع هذا الخوف، وهل هو خوف حقا على الدولة، أم خوف على أنفسهم، أم خوف على الجماعات، ولماذا وهم فى غمرة الخوف هذه لم يتسرب إليهم خوف علينا نحن الشعب من إرهاب مارسه علينا غلاظ القلوب وقساة الأكباد، الذين لا

* نشر فى جريدة الأهرام بتاريخ ٧ يونيو ١٩٨٧

(١) إشارة إلى محاولة اغتيال مكرم محمد أحمد

يعرفون من الإسلام إلا السيف أو الزناد، وينشغلون عن سماحة الإسلام بترويع العباد، ويردون على التحية بالبنادق الآلية، ويقصفون الحروف بالكلاشينكوف، بل يحلون الحرام عن عمد، ويرتكبون الجرائم بقصد، فهم يحلون الكذب حين يدعون أن أبو باشا(١) مزق المصحف وداسه بالأقدام، ويحلّون السرقة حين ينهبون محلات الصاغة الأقباط، ويحلون القتل حين يغتالون رئيس الدولة فى المنصة ورجال الشرطة فى أسيوط، ويصلون إلى ذلك كله بفتاوى من لا هم لهم إلا الإفساد فى الأرض، وإذا كان تهديدهم لأبو باشا بالأشعار والأناشيد التى تتحدث عن الرشاش وغرف الإنعاش لا يصلح دليلا للشك، وإذا كانت اللحى لا تصلح سبيلا للتأكد، وإذا كان ماضيهم فى اغتيال القادة وزعزعة هيبة السلطة لا يصلح سندا للإشتباه، فمتى إذن يتوافر الدليل والسبيل والشك، وإلى متى تدفعنا كراهية على إلى أحضان معاوية، أو طعام معاوية إلى كره على، أو سيوف معاوية إلى هجر على، وحتى متى يوجه الرصاص إلى مسئول فيصيب غيره فى مقتل أقصد فى مقال؟

(١) وزير الداخلية الأسبق - أصيب فى محاولة آثمة لاغتياله

لقد كانت أهداف عمليتى أبو باشا ومكرم واحدة، وهى هز هيبة الدولة، وترويع المسئولين فيها، وتخويف أصحاب الأقلام الشجاعة، والإيحاء للراقصين على الحبال بأنهم أذكياء، وإيهام المزايدين والمؤيدين بأنهم على حق، وأبدا لن يصلوا إلى أهدافهم، فمصر الكنانة لا تركع، وأقلام الشرفاء لا تخاف، واللجوء إلى القتل إعلان لإفلاس العقل، والذى يحتمى بالمدفع فى حواره جبان، والجبناء لا يخشاهم إلا الجبناء، والشجعان وحدهم يرثون الأرض، والرحماء وحدهم يبنون المستقبل، وفى البدء كانت الكلمة، وفى الختام تكون، وإذا كان مطلقو الرصاص قد ارتكبوا جرما، فإن من يزايدون عليهم فى الأحزاب السياسية والصحف الدينية يرتكبون جرما أكبر، ومن يخافون منهم اليوم يرتكبون جرما أكبر وأكبر.

إن وصف مرتكبى الجريمة بأنهم ضحايا، أو أنهم أصابوا الغاية وأخطأوا السبيل، مزايدة رخيصة، وجريمة فى حق الوطن والمواطنين، فالإرهابيون مجرمون آثمون، بل هم فتية لم يؤمنوا بربهم يوما، لأنه جل جلاله الرحمن، ولم يسلموا قلوبهم للإسلام يوما، لأنه دين الرحمة والموعظة الحسنة، وإذا كانوا

يعلنون كفرهم بالوطن، فمن حق الوطن أن يكفر بهم، وإذا كانوا قد أحلوا دم الجميع، فمن واجبهم علينا أن نذكرهم بأنهم قد أحلوا دماءهم أيضا، بالقانون هذه المرة، وبالشرع الذى لو احتكموا إليه، لقتلهم أو صلبهم أو قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.

على المزايدين إذن أن يخجلوا من هول ما يفعلون، وعلى المدافعين أن يدركوا أنهم مشاركون، وعلى المهولين من قصص التعذيب أن يدركوا أن أحدا لا يقبل به، بيد أن تهديد الوطن بالإرهاب أشد، وهو فى ميزان الرحمن أثقل، وفى ميزان التاريخ أنكى وأفظع، ولعلهم يدركون أن الديموقراطية التى أتاحت لهم المزايدة، وأمكنتهم من الدفاع، مهددة اليوم فى مقتل، مزلزلة بكل صاحب رأى يصاب، مغتالة بكل صاحب فكر يصرعه الهوى والغى وفساد القلب والعقيدة، ولعل من رفعوا شعار أن الإسلام هو الحل، دون أن يوضحوا لنا ما يقصدون، يدركون اليوم أن البعض قد قرأها على أن الإسلام هو الحل (بكسر الحاء). وفهمها على أنه حل الدم، دم الأبرياء والشرفاء والشجعان، ولعلهم اليوم مطالبون بتوضيح مقاصدهم، وباستنكار تسمية جماعات الإرهاب بالإسلامية، تنزيها للإسلام ونفيا

لتهمة الإرهاب عنه، ولعل كتّاب الصحف والمجلات الدينية، وبعضها تصدره الأحزاب الرسمية، يدركون اليوم أن ما حدث جزء من حصاد ما كتبوه، ولست فى هذا متجنيا أو متزيدا، فيكفى أن يراجع البعض كتاباتهم فى السنوات الأخيرة، حتى يجدوا مكرم وأبو باشا وغيرهم متهمين بالمروق والارتداد وزيغ العقيدة والكفر الصريح..

وأخيرا.. سوف تظل مصر آمنه كما كانت، وكما ستكون، وسوف يستمر مكرم وغير مكرم فى الدفاع عن شرف الوطن دون خوف أو تردد لأن الرجال يعرفون الحق، وبالحق يعرفون، وسوف يدفع الرصاص الآثم شعب مصر كله إلى مواجهة الإرهاب، ولعل الدولة قبل الجميع مطالبة بإعمال القانون، وبإلزام الجميع بعدم المزايدة على الوطن وأمانه، لأنه إما أن نكون.. أو لا نكون.

حياك الله

قصة المقال : هذا مقال يتعرض لنموذج من العبث الرخيص، الذى ابتلى الله بلادنا به فى غفلة واضحة من القانون واحترام النفس، وفى حضور واضح لرائحة النفط التى أزكمت بعض الأنوف وأشبعت بعض البطون، وفى هبوب واضح لرياح الخماسين التى تهب من الشرق محملة بقيم الجار دون أن تحترم حسن الجوار ولا الحدود بين جار وجار، والقصة سوف يجدها القارئ واضحة فى ثنايا المقال، وهى عن مستثمر سعودى (لا أعرف اسمه للآن)، سمحت له مصر باستئجار وإدارة أحد فنادقها، فتصور نفسه مصلحا دينيا، وتخيل أن ريالاته يمكن أن تفرض قانون بلاده على قطعة من أرض مصر، وبينما لا يستطيع المصرى أن يعمل فى بلاده إلا بضمانة كفيل، يتكفل هو بفعل ما يحلو له، حتى ولو كان على حساب الأعراف، وحتى لو أدى ما يفعل إلى الإضرار باقتصاد البلد الذى استضافه وأكرمه، ويجد للأسف الشديد من يهلل له ويصفق لفعاله.

إن المملكة العربية السعودية بالنسبة لى وطن عربى كريم، ولقياداته كثير من المواقف المشرفة بجوار

مصر، ولبعض أبنائه من الأصدقاء كل الحب والتقدير، ولا علاقة لذلك كله بهذه الواقعة، التي تعبر عن سلوك شخصي لفرد، بيد أن علاقتها وطيدة باحترام القوانبن والأعراف في مصر، تلك التي يبدو أنها لا تحترم من المصريين أنفسهم، وقد زاد الأخ السعودي على ذلك مالم نكن نعلمه، وهو أنها لا تحترم أيضا من بعض من يقيمون فيها من غير المصريين..

لقد أرسلت هذا المقال إلى جريدة الأهالي التي نشرت كثيرا من مقالاتي، وقد اعتذرت الجريدة اعتذارا رقيقا بحجة أنها مقاله (شديدة)، فكان أن وجد المقال طريقة إلى القارئ في هذا الكتاب، لكي يقرأه، لأول مرة.

المقال : حياك الله *

نقلت إلينا جريدة (النور) الإسلامية، التي يصدرها حزب الأحرار، بشرى أبرزتها في الصفحة الأولى، مضمونها أن مستثمرا (سعوديا) تعاقد مع وزارة السياحة على إدارة فندق سافوى بالأقصر، وكان أول أعماله المجيدة، التي هللت لها الجريدة، وباركها الشيخ

---

* أرسل لجريدة الأهالي ولم ينشر

أبو الوفا المتجلى الإمام الشهير بالاقصر فى خطاب له نشرته الجريدة فى صفحة أخرى، أن أصدر قرارا بتحريم تقديم الخمور للنزلاء، وقد فزعت لذلك غاية الفزع، ولا علاقة لذلك الفزع بحل الخمور أو حرمتها، وإن كنت سأناقش ذلك أيضا، وإنما للفزع علاقة وطيدة بمدى احترام الغرباء فى مصر للنظام العام، ومدى التزامهم بالصالح العام، ولست أحسب أن مستثمرا مصريا يمكنه أن يذهب إلى السعودية لكى يدير فندقا، فيطبق قانونه الخاص، ويصدر قرارا بإباحة تقديم الخمور للنزلاء فى فندقه، دون أن يكون مصيره الطرد، بعد أن يتلقى نصيبه من الجلدات فى ميدان عام، أو من السنوات فى غياهب السجن، ولست أحسب أيضا أن المستثمر السعودى يملك أن يفعل ما فعله فى مصر، إذا تعاقد على إدارة فندق سياحى فى إحدى البلاد الأوروبية، ذلك لأن للقانون هناك هيبة، ولأن النظام العام هناك لا يتسع للاجتهادات، ولأن النشاط الإقتصادى لا يسمح بالعنتريات أو الفرقعات أو النزوات، بينما يحدث العكس فى مصر، ويتصور المستثمر أنه بدولاراته أو بريالاته قد اشترى مصر ومن فيها، وأنه قادر على تطبيق قوانينه لا قوانين الدولة، وأنه لم يأت للمساهمة فى التنمية، وإنما

للمساهمة في التربية، وأن دوره يتعدى التمويل إلى التأديب والتهذيب والإصلاح..

لست أدرى حقا من الذى أغوى هذا الرجل بالدخول في ميدان السياحة، ومن أوهمه بأن السياح يأتون إلى بلادنا لإشهار إسلامهم، ومن خدعه بأن هدفهم من زيارة الأقصر هو السياحة الدينية، ومن ضحك عليه مصورا له أنه بماله يستطيع أن يفعل في مصر ما يشاء، وأنه ما دام سعوديا وأدار الفندق، فإن الفندق يصبح أرضا سعودية، تسرى عليها القوانين والأعراف السعودية، ويستقبل فيها السياح بياهلا ويودعون بحياك الله.

لست أدرى حقا من الذى خدع الرجل، وإنما الذى أدريه أن أرض مصر واسعة، وأنه كان يملك بأمواله أن يبنى مسجدا، أو يقيم مصحة، أو يساهم فى تمويل معهد دينى، أو مصنع للملابس لإنتاج الجلباب القصير، أو مصحة نفسية لعلاج المتطرفين الذين يركبون الناقة ويقضون حاجتهم فى الخلاء، أو استصلاح الصحراء، أو تمويل مشروعات البناء، أو غير ذلك من المشروعات التى لا تصدم وجدانه، ولا تستثير كوامنه وأشجانه، لكنه باختياره للسياحة بدا لنا مصلحا أخلاقيا وليس مستثمرا، ويؤسفنا أن نذكر له أننا فى غنى عن

مواعظه، وفى غير حاجة لمفاهيمه، وأنه إذا فضل أن يطبق القانون السعودى فى مصر، فأولى به أن يعود إلى بلاده، وسوف يجد الكثير والكثير مما يستوجب الإصلاح، شريطة أن يغوص قليلا خلف الواجهة البراقة، وأن يبتعد قليلا عن الظاهر من الشعارات الرنانة، وما أحرانا أن ننبهه إلى أن للسياحة فى مصر وزارة تحميها من بطش اجتهاداته، وأن خمسة من أمثاله كفيلون بريالاتهم بإغلاق الأقصر، وأخشى ما أخشاه أن يساعد ارتخاء هيمنة الدولة على القطاعات التابعة لها ذلك المستثمر ونظراءه أن يتجاوزوا فيتدخلوا فى سلوكيات السياح أو فى طبائعهم أو أزيائهم، وسوف يجدون بالطبع من يهلل لهم كما هللت النور، ويباركهم كما باركهم أبو الوفا.

هذا عن الجانب العام فى القضية وهو الجانب الأهم، ولست أجد حرجا فى مناقشة الجانب الدينى الذى استند إليه طويل العمر، ومبعث عدم التحرج أننى لم أدع يوما أننى رجل دين، ولم أسع يوما إلى منصب مفتى الديار، ولم ألتزم فى القضايا العامة بغير ما يجب أن يلتزم به الجميع، وهو الدستور والقانون، غير أنى أملك من اتساع الأفق ما يسمح لى باستيعاب تجارب الآخرين، وبوزن الأمور بمقاييس

المصلحة العامة، ولقد سبقتنا الولايات المتحدة فى ١٦ يناير عام ١٩٢٠ بإصدار قانون يحظر صنع الخمور وبيعها واستيرادها، وكانت نتيجته أن ظهرت عصابات المافيا لتهريبها، وانتشرت الخمور بأضعاف ما كان عليه الانتشار قبل صدور القانون، وتوفى الكثيرون نتيجة غش الخمور، ثم فى النهاية ألغى القانون فى ٥ ديسمبر ١٩٣٣ بعد تجربةمريرة، ويستطيع من عاشوا فى السعودية أو ليبيا أن يدركوا أن البشر هم البشر، وأن ردود الفعل فى البلدين هى نفس ردود الفعل فى الولايات المتحدة، ويسبق ذلك كله أن نؤكد حقيقة واضحة، وهى أننا فى مصر فى ظل إباحة الخمور، نحقق أقل المعدلات فى العالم، وأكررها وأنا دائم السفر والترحال، أقل المعدلات فى العالم، فى شرب الخمور والإدمان عليها، ويستطيع أى مقيم فى قرية أو شارع فى المدينة أن يحاول جاهدا أن يعد على أصابع يديه عدد من يشربون الخمر حتى يتأكد مما أقول، وحتى يدرك أن المنع بسلطة القانون هو السبيل المؤكد إلى الانتشار، والدليل على ذلك يتمثل فى انتشار المخدرات، أضعاف أضعاف انتشار شرب الخمر، رغم أن المشرع يصل بعقوبة الاتجار فيها إلى الإعدام، وما أكثر ما تحدثت فى كتبى ومقالاتى عن عقوبة الخمر فى الإسلام وكيف أنها

تعزيرٌ وليست حدا، وما أكثر ما أفضت فى اجتهادات أبى حنيفة وفى تطابق القانون المصرى مع مفاهيم الفقه فيما يتعلق بعقوبة السكر البين، وسوف يسعدنى أن يلجأ من يريد إلى قراءة كتبى أو أن يطرح الأمر فى نقاش عام تتسع فيه المساحة والساحة لمزيد من التفاصيل.

وتبقى فى حديثى عدة ملاحظات، أولها يتمثل فيما ألاحظه من نشاط متزايد وسعى إلى النجومية من (أبو الوفا المتجلى) متمثلا فى سعيه بالشيخ كشك والشيخ عمر عبد الرحمن، وأود أن أهمس فى أذنه أنه أساء اختيار المكان أو الأسلوب، وأن هذا السعى فى بلد مثل الأقصر، يهدد اقتصادها، ويخرب وحدتها الوطنية، ولا أزيد على ذلك وفى الجعبة مزيد. وفى القانون رادع، وفى سلطة الدولة مرفأ أمين، وإنما أشير وأنذر، وثانيها رجاء إلى وزير السياحة أن يكون واضحا وحاسما فى هذه الأمور، وأن لا يترك الحبل على الغارب لمن يخربون السياحة بإسقاط اجتهاداتهم عليها، وأن يسحب التراخيص ممن لا يلتزم بالقواعد العامة، وأن يضع فى نصوص التعاقد ما يجبر المتعاملين فى السياحة على الالتزام بقواعدها أو تركها

لنشاط آخر. أو العودة غير مأسوف عليهم من حيث أتوا..

وثالثها نداء أوجهه للمستثمر السعودى..

ياطويل العمر، نحن شعب فقير يعتمد على موارد محدودة، أحدها السياحة، ونحن متحضرون إلى النخاع، متفتحون إلى غاية المدى، وقد عوضنا الله عن ضيق اليد اتساعا فى الأفق، وأنت رجل تملك أن تدفع لتستأجر الفنادق فى الدنيا، وتحرص على الاجتهاد لامتلاك القصور فى الآخرة، ونحن لا نقف فى وجه أمانيك، لكنا نرجوك أن تمول هذه القصور باجتهاداتك فى بلادك بعيدا عنا، وسوف تجد فى اجتهادات العدل الاجتماعى على لسان على بن أبى طالب وأبى ذر الغفارى وسلمان الفارسى ما يكفيك وزيادة، وفى بلادك مثل شائع يقول (يا غريب كن أديب)، والمقصود بالمثل ليس الأدب بالطبع، فأنت مؤدب ومهذب ما فى ذلك شك، لكن المقصود هو احترام نظام مجتمع الغربة وقوانينه وقواعده، لذا لا بأس أن نعيدها على مسمعك (يا غريب كن أديب)، حياك الله..

اللهم رحمتك وغفرانك

قصة المقال : فجأة أعلن المتطرفون عداءهم للفن، ورغم أن ذلك العداء كان واضحا منذ زمن بعيد من خلال الحوادث المتكررة لحرق المسارح، مثل الهوسابير ونجم والجمهورية (وربما قبلها حريق الأوبرا لأننا لم نعرف في تاريخنا كله هواة لحرق المسارح غير هؤلاء)، إلا أن توالي الحوادث وتواترها في أمكنة مختلفة وفي زمن قصير، شغل المصريين إلى أقصى حد، وأزعجهم أيما إزعاج، ففي كلية آداب القاهرة منعوا حفلا للغناء، وفي جامعة أسيوط دمروا آلات الموسيقى، وفي قرية كودية الزار بمحافظة أسيوط هاجموا فرقة مسرحية، وعلى صفحات أخبار اليوم أعلن الشيخ الشعراوي أن الموسيقى مقبولة إذا لم يترتب عليها اهتزاز الجسد الذي يؤثر على الوقار، وقبلها أعلن استنكاره لسلوك البعض ممن ينامون على موسيقى بيتهوفن.. وهكذا أراد البعض أن يقف الإسلام في المواجهة مع الفن، وقد تزامن ذلك مع انسحاب بعض الفنانين من ساحة الفن إلى ساحة التفرغ للعبادة، معلنين عن توبتهم وندمهم على ما اقترفوه في الأيام

الخوالى، نذكر منهم الفنانة شمس البارودى والفنانة شادية والفنانة هناء ثروت وأخيرا الراقصة الشرقية (سابقا) هالة الصافى، وقد أعلن الشيخ الجليل الشعراوى أن أغلبهم قد تاب وأناب على يديه..

في ظل هذا المناخ الذى قد يعجب (بفتح الياء) له البعض، وقد يعجب (بضم الياء) البعض، كان هذا المقال الذى نشرته جريدة الأهرام تحت عنوان (الموسيقى غذاء للروح).

المقال : اللهم رحمتك وغفرانك*

فى الدول المتقدمة، يستعينون بالموسيقى فى مزارع الماشية، لأنها تزيد من إدرار اللبن، ودلالة ذلك أن الماشية تطرب للموسيقى، بينما يدعو البعض إلى حرمان البشر من سماعها بحجة أنها حرام إلا إذا كانت ضربا على الدفوف.

الموسيقى لدى الماشية غذاء للروح، ولدى بعض البشر جموح وجنوح، ولو قدر لهؤلاء أن يفرضوا إرادتهم لأصبح من حق الجماهير العريضة التى تطرب للفن وتتذوقه، أن تتظاهر مطالبة بالمساواة مع الماشية

* نشر فى جريدة الأهرام بتاريخ ٣٠ يونيو ١٩٨٨ تحت عنوان (الموسيقى غذاء الروح)، والعنوان من اختيار الأهرام

فى حق طبيعى..

أى مفارقة هذه، وفى أى زمن، وعلى يد من؟

المفارقة أن هذه الدعاوى ترتفع ونحن على أعتاب عصر مذهل، يتأهب فيه الإنسان لغزو الفضاء وحرب الكواكب وإنجازات الهندسة الوراثية، والغريب أن أصحاب هذه الدعاوى لهم حظ من العلم والثقافة، وأنهم يظنون وبعض الظن إثم أنهم ينفذون إرادة الله، الذى خلق العصافير لتشدو، والطيور لتغنى، والذى أنزل القرآن آية محكمة من الفن، لغة وأسلوبا وقصصا ومواعظا وهدياً، ولو شاء لأنزله مرسلا بلا موسيقى فى طيات آياته، وبلا روىّ فى نهاياتها، وبلا أنغام تنبعث من حركات الحروف وسكناتها.

إن قراء القرآن الكريم لا يجدون صعوبة فى التغنى بآياته، وهم حين يفعلون ذلك يخضعون قراءاتهم للسلم الموسيقى، ويتبعون فى ذلك قواعد الغناء، فيختارون مقاما دون مقام، ويُدخلون مقاما على مقام، وينتقلون من مقام إلى مقام، ولا يعجزهم أن يفعلوا ذلك فى أى سورة يشاءون من بدء القرآن إلى ختامه، بينما يعجزون ويعجز غيرهم أن يفعل مثيلا

لذلك بكتاب رصين، رغم أن القرآن بالقطع أكثر رصانة، أو مقال جاد رغم أن القرآن بالطبع أكثر جدية، أو بحثا عميقا رغم أن القرآن باليقين أكثر عمقا، وما كان ذلك كله إلا آية من الله لعباده، وحجة مفحمة على كل من أنكر الموسيقى واستنكر الغناء وأعلن العداء للفن، وما أكثر ما سمعنا محمد رفعت ومصطفى اسماعيل والمنشاوى وغيرهم، وما أكثر ما طربت النفس، واهتز الجسد، وانفعل الوجدان، ووعى العقل، ونحن نستمع منهم إلى محكم الآيات، وما أظن أن أحدا منا قد تصور وهو يفعل هذا كله، وينفعل بذلك كله، أنه ارتكب حماقة أو أتى إثما أو اقترف معصية، ولا أعتقد أن أحدا منا كان يتوقع ما قرأناه من فتاوى تحرم الموسيقى إذا اهتز الجسد، وترفض التطريب إذا انفعلت النفس..

ما الذى حدث لنا فى السنوات الأخيرة، وكيف سعينا حثيثا إلى إنكار العقل أو إهماله، وما الذى دفع البعض إلى البحث فى بطون كتب التراث، سعيا وراء حديث آحاد ضعيف هنا أو فتوى فقيه بلا سند هناك، وما الذى جعل الإنكار أقرب كثيرا من القبول، والتأثيم أهون كثيرا من التكريم، والعسر أيسر كثيرا من اليسر، ولماذا يحرص أبناؤنا أشد الحرص على التمسك

بالقشور، والتعصب للشكليات، و التعلق بالفروع، حتى أن البعض منهم يدعى أن الإسلام قد أتى بزى، وأنه فيما يرتديه يستن بسنة الرسول الكريم، وعلمنا وفوق كل ذى علم عليم؛ أن الرسول لم يأت بزى جديد، وأنه ارتدى زى المقيمين فى مكة، وأغلبهم من المشركين، وأنه لم يغير زيه بعد أن تنزلت عليه الآيات البينات، وأنه ارتدى ما أهدى إليه من زى رومى أو حبشى أو فارسى بلا حرج، وأنه فى زيه كان يقتدى بعصره، تماما كما نفعل نحن الآن، وأن أغلب الفقهاء قد أفتوا بأن سنة الرسول فى الزى والعلاج خاصة بعصره ولا تنسحب على غيره من العصور، وهو ما يمكن أن يحمل عليه الكثير من أمور الدنيا فى عصره أو عصرنا، غير أن البعض فيما يبدو يهمل ذلك كله، ولا يجد حرجا فى الإفتاء بأن سماع موسيقى بيتهوفن قبل النوم حرام، تاركا إيانا نضرب كفا بكف ونحن نتساءل عن علة هذا التحريم، وعن مكان هذا الإنسان الوهمى، الذى تتهيج غرائزه عند سماع بيتهوفن، ويفسد طبعه إذا أنصت لموتسارت، وما أجدرنا بتساؤل آخر عن سند تحريم ما لم يعرفه عصر الرسول من فنون مثل المسرح، ومن آلات مثل الشيللو والكمان والأورج والبيانو، وهل ياترى تمتد فتواهم إلى كل ماهو متاح

وصداح، فتنطلق القوافل الشعبية بحثا عن طيور الكنارى لذبحها خوفا من الفتنة، وإلى خرير الجداول لطمرها تحسبا من الإثارة، وإلى أبواق السيارات لتدميرها تجنبا لمقدمات الزنى..

لا بأس من كسر إيقاع الانفعال بقصة قصيرة، دلالتها خطيرة، قصتها علىّ صديقة للأسرة، قادتها المصادفة لزيارة حضانة للأطفال تابعة لإحدى شركات توظيف الأموال بمدينة ساحلية، وفوجئت بمديرة الحضانة تكّرم طفلا فى طابور الصباح أمام زملائه، لأنه وهو فى طريقه للمدرسة وضع قطناً فى أذنيه حتى لا يستمع إلى الموسيقى فى سيارة والده، وقد نسيت المربية الفاضلة، أنها تباهى الأطفال بوحش كاسر فى مقبل الأيام، لأن من لا يرق وجدانه لا تسمو مشاعره، ولأن من لا تعرف الموسيقى طريقا إلى قلبه لن تعرف الرحمة طريقا إلى سلوكه، ونسيت أيضا ما هو أهم، وهو أن الإسلام كما تتشدق هى، وكما نؤمن نحن، هو دين الفطرة، وقد نقلت إلينا جدران كهوف الإنسان البدائى رسوما وفنا، ونقلت لنا حضارات ما قبل ظهور جميع الأديان أناشيد وغناء، ونقلت لنا الكتب السماوية حديث مزامير داود وترانيم الملائكة، وصدق الله العظيم حين دعانا إلى التأمل فى آيات الكون، ولو تأمل

المعترضون لوجدوا - كما ذكرنا - أن الماشية تطرب للموسيقى فتنتج، وأن الخيل تنفعل بالموسيقى فترقص، وأن الطيور تسبح لله فتغنى، ولأدركوا أن الفن فى مجمله تعبير عن قدرة الله العظيم، الذى وهبنا الجمال، ومنحنا الخيال، فكان الفن..

أقول قولى هذا، والعالم من حولنا منشغل كما ذكرنا بحرب الكواكب وهندسة الوراثه وغزو الفضاء، بينما نحن منشغلون عن ذلك كله بتحريم الموسيقى، وتحريم الغناء، وطول الجلباب، وجنس الملائكة، فاللهم رحمتك وغفرانك..

هل هذا معقول؟

قصة المقال : للسودان الحبيب مكانة فى نفسى، لا تقل عن مكانة مصر، وقد كان هذا واضحا فى كتابى الأول (الوفد والمستقبل)، وكان أوضح فى كتابى الثانى (قبل السقوط)، ولعله الآن أكثر وضوحا، وإذا كان الله قد ابتلانى فى مصر بمن ينغصون على عيشى بخلط أوراق السياسة والدين، فإنه ابتلانى فى السودان بآراء حسن الترابى ونوايا الصادق المهدى، والأخير أتى على جناح الديموقراطية، واستقبله الشعب بالعناق والترحاب، وكنت شخصيا أحد المؤيدين له والآملين فيه، عن إقناع بأنه استوعب درس عهد النميرى، بيد أنه أثبت قدرته الخارقة فى مجال آخر، هو مجال المناورات، واستهلاك الوقت فيما بين إصدار التصريحات والتراجع عنها، دون أن يقدم حلا لمشكلة واحدة من المشكلات، وهكذا أصبح السودان فى عهد الديمرقراطية مجرد مجلس (ونِسة) كبير، يتصدره الصادق المهدى، الذى ينطبق عليه وصف امرئ القيس (مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا)، والمشكلة فى لفظ (معا)، حيث لا يدرى أحد فى السودان أو خارجه، ماذا يريد الصادق بالضبط، هل

يريد إلغاء قوانين سبتمبر (الخاصة بالشريعة) أم يريد الإبقاء عليها؟ هل يريد حل مشكلة الجنوب أم يسعى إلى انفصاله؟، هل هو مع الترابى أم ضده؟، هل هو مع الاتحاديين أم ضدهم؟، وكلها أسئلة حائرة أو أراد الصادق لها أن تظل حائرة، والمقال المرفق مكتوب بعد قراءة تصريح نسب للصادق المهدى عن عزمه على تطبيق الشريعة على المسلمين وليس على غيرهم، وهو ما تراجع عنه فيما بعد، وقد كان تراجعه سريعا إلى الدرجة التى فاقت سرعة كتابة المقال ونشره، حيث فاجأنى الأستاذ الكبير محجوب محمد صالح رئيس تحرير جريدة الأيام السودانية بقوله أنه قد تم التراجع عن ذلك، وأن النية تتجه إلى تطبيق الشريعة فى الشمال دون الجنوب، وهى كارثة أخرى أرجو أن تتاح لى فرصة التعليق عليها مستقبلا.

المقال : هل هذا معقول؟*

حدثنى أبى - أطال الله عمره - عن جدى - رحمه الله- أن مصر عانت كثيرا من الامتيازات الأجنبية، التى خصصت للأجانب امتيازا خاصا بهم، لا يخضعون

* أرسل إلى جريدة الأيام السودانية، ولم ينشر لتراجع الحكومة عن القرار قبل النشر

بموجبه للقوانين المصرية، ورغم أن جدى ومن عاصروه كانوا يلتمسون العزاء فى أن الأمر خاص بالأجانب، مقصور عليهم، إلا أن نفوسهم كانت تجد غضاضة فى هذا الازدواج المقيت، وكثيرا ما كانوا يتساءلون ومعهم حق، أهى دولة داخل الدولة، وكثيرا أيضا ما كان رسامو الكاريكاتير يستبدلون رسم العدالة التى تحمل ميزانا فى يد وسيفا فى اليد الأخرى، برسم آخر تحمل فيه ميزانين، فى كل يد ميزان، وقد استمر هذا الوضع الغريب حتى انتهى بمعاهدة ١٩٣٦ فتنفس المصريون الصعداء..

خطر هذا كله فى بالى وأنا أقرأ تصريح رئيس وزراء السودان، ومضمونه أن قوانين سبتمبر، الخاصة بتطبيق الشريعة وفقا لاجتهادات النميرى والمكاشفى إلى تعديل، ثم إلى تطبيق، وأن تطبيقها سوف يكون على المسلمين، وأنها لن تطبق على غير المسلمين، وهو تصريح ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، بل إن شئنا الدقة ظاهره المنطق وباطنه الكارثة..

أما المنطق فالاستدلال عليه يسير، فما دام البعض يعض على الشريعة بالنواجذ، ويرى فى تطبيقها استكمالا لعقيدته، ومادام البعض الآخر ينهال على

تطبيقها بالمآخذ، ويرى فيه مساسا بعقيدته، فلماذا لا نرضى هذا وذاك، فنطبقها على هذا، ونحجب تطبيقها عن ذاك، وهو منطق مقبول من الناحية النظرية، بيد أنه مدخل منطقى إلى تمزيق عرى الوطن الواحد، وإلى ترسيخ الطائفية بدلا من القضاء عليها، وإلى عديد من المشاكل المعقدة عند التطبيق لابد وأن تنتهى برفض هذا واستنكار ذاك، ولعل الميزة الوحيدة لهذا القرار، تتمثل فى أنه قرار فريد، لم يعرف تاريخ الدول كلها فى الماضى والحاضر نظيرا له، فالدولة الواحدة، لأنها واحدة، وحتى تستمر واحدة لابد وأن يحكمها قانون واحد، بينما يحكمها هنا قانونان، وتواجه الجريمة الواحدة فيها بعقوبتين، ويتميز فيها غير المسلمين على المسلمين باحتفاظهم بأطرافهم دون قطع، وامتلاكهم لظهورهم دون جلد، وصيانتهم لأجسادهم دون رجم، بينما يتميز المسلمون بمساهمتهم الخيرية فى بنوك الأعضاء، ومشاركتهم الفعالة فى تعمير مقابر الفقراء، والمثابرة على الدعاء، أن يقلب الله عاليها على أسفلها، حتى يتساوى آخرها بأولها ..

حسنا، دعونا ننتقل إلى التفصيلات ..

يسرق أحمد وجرجس منزلا، فيعاقب أحمد بقطع

يده من الرسغ، ويعاقب جرجس بالسجن ستة شهور، ويلعن أحمد ذلك اليوم الذى ولد فيه مسلما، ويوقد جرجس شمعة للعذراء شكرا على نجاته من براثن الإسلام، وينظر أحمد، وكل أحمد، إلى جرجس، وكل جرجس على أنه خواجة، أو حماية، أو مواطن شرف..

كيف يستقيم ذلك، وكيف يستقر ويستمر فى دولة واحدة، تتباهى مثلها مثل أى دولة متحضرة، بالمساواة بين المواطنين فى الحقوق والواجبات..

مثال آخر..

يضبط النبيذ لدى محمد فى أم درمان، ولدى ميشيل فى بورسودان، فيجلد أحمد فى الميدان، ويخرج ميشيل مبتسما فى اطمئنان، بعد اعترافه بأنه نبيذ العهد..

مثال ثالث ..

يرتكب چورچ جريمة الزنا مع زوجة جعفر، فيحكم عليه بثلاث سنوات، ويرد جعفر الصاع صاعا فيرتكب نفس الجريمة مع زوجة چورچ فيرجم فى ميدان عام ..

هل هذا معقول، بل قبل ذلك كله هل هذا ممكن؟

وهل يصدقنى القارئ إذا ذكرت له أننى تصورت الأمر فى البداية دعابة، وأنه مجرد تصريح للاستهلاك المحلى، فإذا بى أفاجأ بأنه جد فى جد، رغم أنه يؤدى إلى نتائج هى فى حقيقتها هزل فى هزل، وكارثة لا أكثر ولا أقل..

لست أشك فى أن المسلمين فى السودان يشعرون بالحزن والجزع، ولست أشك أيضا فى أن غير المسلمين فى السودان يشعرون بالأسف والخجل، وأخشى ما أخشاه أن تنتقل عدوى هذا القرار إلى غيره من القرارات، حيث الشكل هو المقصود، وحيث الترضية هى الهدف، دون حساب للنتائج، فيصدر قرار بتطبيق النظام الرأسمالى على الرأسماليين، والاشتراكية على الاشتراكيين، وتتوالى القرارات على نفس الشاكلة، ويترتب على كل قرار ألف مشكلة، ويتحول كل قرار إلى قنبلة، لست أشك فى أنها ستنفجر عن قريب، ولن يسر انفجارها عدوا، فما بالك بالحبيب ..

وأخيرا، لست أشك فى الدوافع النبيلة لمصدرى التصريح، ولا أعتقد أن وراءه شيئا غير النوايا الطيبة، بيد أنهم يذكرون فى الأثر، أن الطريق إلى جهنم معبد بهذه النوايا، ويقينى أن مشاكل السودان

أعقد بكثير من جزئية تطبيق الشريعة، وهل تطبق على هذا وذاك، أم تطبق على هذا دون ذاك، بل إن يقيني أن مثل هذا النقاش لا يزيد عن كونه تلهية، وهو فى النهاية رفاهية لا تليق بشعب يطحنه السعى إلى ضروريات الحياة، وليس منطقيا أبدا أن ترتفع أسعار الضروريات إلى هذا الحد، ويرخص الإنسان فى نفس الوقت إلى هذا الحد ..

تحية إلى حسن الترابى

لم أحزن فى حياتى لعدم نشر مقال كما حزنت لعدم نشر هذا المقال، أو قل هذه المقامة، التى أملتها على مشاعرى نحو هذا الرجل الذى لم ألتق به، وأدعو الله أن لا ألتقى به يوما.

لقد حل من بايع النميرى على قرارات «سبتمبر ضيفا على القاهرة، واستقبله البعض بالترحيب، وكان بودى أن يقرأ هذا المقال، حتى يعلم أن هناك من يعد الدقائق حتى يطمئن إلى مغادرته لأرض القاهرة، وحتى يعلم أن سعيه إلى إراقة الدماء، وتمزيق الأشلاء، لم يضع سدى، وأن حسابه لن يكون فقط فى الآخرة، وإنما سوف يلقى بعضه فى الدنيا، جزاء وفاقاً على إساءته للحضارة، ولحقوق الإنسان، وللوجه الحضارى للسودان، وقبل ذلك كله للإسلام الحنيف، الذى تحول على يديه إلى إسلام عنيف، يعرف القطع قبل الشبع، ويبرر لحاكم مثل النميرى أن يعلق معارضيه على أعواد المشانق، وأن يجمع النظارة ليس لمشاهدة فرقه مسرحية، أو الاستماع إلى أوبرا أو أوبريت، وإنما لمشاهدة قطع الأيدى والأرجل فى ساحة سجن كوبر ..

حسنا.. كانت المناسبة هى حضور الترابى إلى

القاهرة، وكان الرفض من جريدة الأهالى لنشر المقال لكونه عنيفا من وجهة نظرهم، رغم أنه فى اعتقادى أرق ما قدرت عليه، وليعذرنى القراء فى ذلك ..

المقال : تحية إلى حسن الترابى*

مرحبا بك فى مصر ياترابى، فلعلك رأيت المصريين، قوما آمنين، أصحاء كاملين، فلا أيد مقطوعة، ولا أذرع منزوعة، ولا سيقان مخلوعة، ولعلك استنكرت هذه التجاوزات الشنيعة، ولعلك ضربت كفا بكف متسائلا عن تطبيق الشريعة، ولعله يجدر بنا أن نعتذر إليك، فما كل من ركب الحصان خيال، ولا كل من فوق التراب (ترابى)، ولا كل من فهم الإسلام سفاح، ولا كل قلب قُدَّ من حجر مثل قلبك، ومعذرة فنحن ملوثون بالحضارة ياسيدى، تنفعل قلوبنا لمرأى المصلوبين، وترتج مشاعرنا لصراخ المجلودين، ويغشى علينا كما غشى عليك فى ساحات القطع، ويطفر الدمع من عيوننا على مصير المقطوعين، ونرى الإسلام سمحا شديد السماحة، ونرى مأساته فى جمود المجتهدين، واجتهاد الجامدين، وفى الخلط بين هوى الحكم وأحكام الدين ..

مرحبا بك يا رجل ..

---

* أرسل لجريدة الأهالى ولم ينشر

فلعلك قرأت فى صحفنا أن رئيسنا منتخب، وليس إماما يبايعه أهل الحجى من أمثالك، ولعلك أنكرت عليه، أن يتجاوز شروط الإمامة المرعية، ولعلك أنكرت عليه الشرعية، ولعلك فزعت حين جلست إليه فلم تر سيفا ولا نطعا، ولعلك بحثت دون جدوى عن مسرور، وربما تعجبت لهذا القصور، وربما فسرته بكرم الضيافة، وبالبون الشاسع بين الرئاسة رالخلافة، وربما ترحمت على أبى العباس السفاح، وأبى جعفر المنصور، وأبى جعفر النميرى، ولعلك استنكرت عليه سماحه بمجلس للشعب، ينتخبه الشعب، بينما أمامه نظريات الفقه الإسلامية، التى أفرزتها عصور الدولة العباسية،والتى تسمح بمجالس الشورى (الاستشارية)، تلك التى يختارها الإمام، ويرأسها الإمام، ويحلها الإمام، ويؤمها الإمام، ويتجاوز فتواها وحسابه على خالق الأنام، غير عابئ بأن يصبح فى نظر العالم المتحضر أضحوكة، أو أن يصفه المتفرنجون من أمثالنا بأنه إرهابى، مرحبا بك يا ترابى، مرحبا بك فى مصر، فلعلك رأيت حين دعاك شكرى إلى نادى الجزيره، فتيانا وفتيات يتجاذبون الحديث فى الأدب والثقافة والسياسة والعلم، والفلسفة والفن، ولعلك بحثت بين الشاب والفتاه عن ثالث فلم تجد، أو عن خيط تمرره

بينهما فمنعك الخجل، مرحبا بك يا رجل، فلعلك ضربت كفا بكف وأنت تقارن بين شبابنا وبين الأقرع وحابس وحنظلة، وبين فتياتنا وبين الخنساء والعمشاء والعوراء، ولعلك تذكرت فاطمة حسن صالح ونوال محجوب حامد وجلدهما بتهمة الشروع فى الزنا (؟) تأكيدا على عين الشريعة الساهرة ..

مرحبا بك فى القاهرة، فلعلك تساءلت فى ميدان التحرير عن ساحة القطع، ولعلك زرت فيه الطامة الكبرى، أقصد المتحف المصرى، ذلك الذى ترتفع فى ساحته الأصنام، ويحتفل فيه شعبنا بذكرى الفراعين، الكفرة الملاعين، بينما أمثالك من الغر الميامين، لا يأبه بهم أحد، ولا يحتفل بهم أحد، ولولا أنك فى بلد يحكمه ذلك الطاغوت، المسمى بالقانون، لانهلت على تلك الأصنام تحطيما، حتى تسعى الجماهير إليك، وتشُد على يديك، وحتما كنت ستفعل، لولا ذلك القانون، أقصد ذلك الوثن، مرحبا بك ياحسن، فلعلك وأنت فى طريقك من التحرير إلى رمسيس، أمعنت النظر كثيرا فى دار القضاء العالى، وتعجبت لوجود القضاء والقضاة وعدم استبدالهما بالقضاء والقدر، مرحبا بك يا ترابى، ولولا ضرورات العصر، ولولا أننا فى مصر، لفرشنا لك

الأرض أرجلا وأيادى، ويكفينا أنك أنرت لنا السبيل فى محاضرتك الساحرة، بنادى هيئة تدريس جامعة القاهرة، حين حدثتنا عن حل مشكلة الجنوب، وكيف أنك ترى حلها فى يد سوار الذهب، الذى يقود مجموعة تدعو ملايينهم إلى الإسلام، ويا سلام، ما أروع فكرك، وما أوسع أفقك، وما أشحذ قريحتك، وما أخصب خيالك، وما أجدرنا أن نقتدى بك، فنحل مشكلة الفتنة الطائفية فى بلادنا بأسلمة الأقباط، ونحل مشكلة إسرائيل بدعوة شامير إلى اعتناق الإسلام، ولماذا حقا لا يرسل مبارك إلى ريجان وجورباتشوف رسالة يقرنهما فيها السلام ويأمرهما فيها بالإسلام .

ياسلام ....

مرحبا بك لأنك ضيف، ولولا ذلك لصارحتك بأننى أفزع لرؤية وجهك الحقود، وجبينك المعقود، وطريقك المسدود، لكنك ضيف على كل حال، وحتى لو كان الضيف ثقيلا فمصيره إلى ترحال، ولعلى قبل أن أتركك فى سلام، أغفر لك أى شئ إلا أن تسئ إلى الإسلام، وعساك تستقر فى بلادك، وتستمر بعيدا عنا فى جهادك، حتى يزول عنا الضيق والحَزَنْ ..

مرحبا بك يا حَسَنْ

تعقيب لطيف على بيان سخيف

قصة المقال: هذا مقال أحدث ضجة فى السودان، عندما نشرته جريدة الأيام السودانية، يوم ٦ إبريل ١٩٨٨، وانبرى له الدكتور حيدر ابراهيم على مدافعا ومؤيدا بمقال عنوانه (هل العلمانية تهمة؟) بتاريخ ١٨ إبريل ١٩٨٨، ثم أتى رد هيئة علماء السودان فى صورة مقال عنوانه (الإسلام باق بإرداة الله وجهاد المؤمنين) للأستاذ أحمد عبدالسلام أحمد- هيئة إحياء النشاط الإسلامى- بتاريخ ٢٢ إبريل ١٩٨٨ الذى عقب مرة أخرى على مقال الدكتور حيدر ابراهيم بمقال عنوانه (العلمانية تهمة تعادل الكفر بالنسبة للمسلم) بتاريخ ٢٧ ابريل ١٩٨٨، وجميع المقالات منشورة بجريدة الأيام، وقد كان بودى أن أنشر جميع التعقيبات، خاصة مقال الدكتور حيدر لولا ضيق المساحة، فاكتفيت بنشر الرد الذى تناولنى فى الملاحق (ملحق رقم ٤)، ونعود إلى قصة المقال ..

لقد تلقيت خطابا رقيقا من الأستاذ زكريا حامد، الصحفى السودانى الذى أتمنى أن أتعرف به شخصيا يوما من الأيام، وقد أرفق الأستاذ زكريا بخطابه بيانا

أصدرته جماعة تسمى نفسها (هيئة كبار العلماء فى السودان)، والمقال يقرأ من عنوانه كما يقولون، وقد كان عنوان المقال- الإسلام باق وشريعته ماضية ولو كره بابا الفاتيكان- وكان واضحا من العنوان أن بابا الفاتيكان قد أقحم فى البيان إقحاما، وأن هدف إقحامه هو استفزاز النعرات الدينية فى نفوس البسطاء، ومصارعة طواحين الهواء، تماما كما فعل دون كيشوت فى رواية سرڤانتس الشهيرة، وبمجرد البدء فى قراءة البيان تناوبتنى مشاعر العجب والدهشة، فها هو الحديث المعاد منذ أيام النميرى عن البركة التى ستحل، والجنان التى ستثمر، بشرط وحيد بسيط، وهو أن يسلم الشعب ظهره للجلاد، وأياديه لمحترفى القطع، ورأسه لأفكار محترفى المبايعات، ومستقبله لمن يسيرون للوراء، وسوف يرى القارئ كم كان المقال لطيفا وعنيفا فى آن واحد، وسوف يرى أيضا كيف كان ردهم متراوحا بين فكرتين أساسيتين، أولهما نصحى بالتخصص فى الزراعة، وثانيتهما سؤالى عما سأفعله يوم القيامة عندما أقف بين يدى خالقى .. وقد فكرت أن أرد على التساؤل الأخير بمقال عنوانه (وأنت مالك يازول)، بيد أنى راجعت نفسى، فما دام المقال قد نشر، والردود قد نشرت، فقد أصبحت الحقيقة كاملة أمام

القارئ، وما عليه إلا أن يختار، والعقل بين، والنقل بين، ومستقبل السودان هو القصد .

المقال : تعقيب لطيف على بيان سخيف *

قرأت بيانا أصدرته هيئة علماء السودان عنوانه (الإسلام باق وشريعته ماضية وإن كره بابا الفاتيكان) وهو بيان يستحق التعقيب، دون اعتبار لما يثيره البعض من كون الأمر هما سودانيا لا يليق بمثلى أن يتدخل فيه، فالسودان منى وأنا منه، وما اشتكى جنوب الوادى يوما إلا وتداعى له سائر الشمال بالسهر والحمى.

أما إن الإسلام باق فهذه إرادة الله لا العلماء، وأما أن شريعته ماضية، فأمر يستحق التوقف والتأمل، فللشريعة شروطها، ولتطبيقها مناخه، وتجربة السودان القريبة فى عهد «الإمام النميرى» دليل على أن شريعة الرحمة، يمكن أن تتحول إلى سوط فى يد الجلاد، وسيف بتار فى يد غلاظ الأكباد، لا يغنى عن ذلك الحديث عن البركة، ذلك الذى ورد فى ثنايا البيان، وأثبتت قدرة الله عكسه، حين هلت على السودان بشائر المجاعة، جزاء

* نشر فى جريدة الأيام السودانية بتاريخ ٦ ابريل ١٩٨٨ تحت عنوان (الدكتور فرج فوده يكتب للأيام من القاهرة معقبا على بيان هيئة علماء السودان)

وفاقا على أفعال من خلت قلوبهم من الرحمة وهى جوهر الإسلام، ومن قصرت عقولهم عن الاجتهاد، وركنوا للنقل قبل العقل وقادتهم ساديتهم إلى القطع قبل الشبع .

ما بالهم صمتوا أمام جفاف السماء بعد أن وعدونا بالسيول، وأمام تشقق الأرض بعد أن وعدونا بالجنان، وأمام خلع الإمام استجابة لغضبة الشعب بعد أن بايعوه مدى الحياة، وعاهدوه على السمع والطاعة. فجازته وجازتهم السماء بالمجاعة، وما ضرنى أن يهاجم البعض بابا الفاتيكان، ما ضرنى هذا أبدا، لكن الضر كل الضر فيما ورد فى ثنايا البيان ..

أول ما ورد فى سطور البيان، تسميتهم لأنفسهم بهيئة علماء السودان، ولست أدرى أى سند من القرآن أو السنة ركنوا إليه فى تشكيل الهيئة أو إطلاق الإسم الرنان عليها، فالإسلام لا يعرف واسطة بين الله وعباده، وهو لا يعرف كهنوتا لكنهم يعرفونه، وليس فيه كنيسة لكنهم يقيمونها، والعالم فى عصور نهضة الإسلام عامل يكسب من كد يده، وليس من ادعاء أنه حامى حمى العقيدة، ويربح من تجارته أو صناعته وليس من ميزانية الدولة، التى ينعت أموالها بأنها ربوية،

والتي فيها حق للسائلين والمحرومين والأيتام، وهم بحمد الله ليسوا من هؤلاء في شئ ولا يزيدون لدينا عن كونهم «شئ»، ابتدعه الفاطميون فساد، واستمرأه الاحفاد، فناصروا النميرى ومن على شاكلته وأذلوا العباد، ومزقوا البلاد، وأكثروا فيها الفساد، فحقت كلمة ربك عليهم، إن ربك لبالمرصاد ..

أما ثانى ما ورد فى البيان، فهو قولهم «وبالإسلام تتحقق البركة فى المعاش وبسط الأرزاق» وهو قول له خبئ، فهم لا يقصدون الإسلام، وإنما يقصدون الحكم بالإسلام، وما كان الحكم بالإسلام ركنا من أركانه، إلا لدى من يلوون أعناق النصوص، ومن يصدق عليهم قول الإمام علىّ (الإسلام حمال أوجه)، وهو قول أثبتت حوادث التاريخ صحته، وفى عهدَ الإمام علىّ نفسه، حين اتهمه البعض بالكفر، وبرروا اغتياله بالفتوى، ثم اغتالوه ظنا منهم أن ذلكَ أقصر الطرق إلى الجنان، ورضا الرحمن، وعهدى أن الإسلام فى السودان بخير، وأن شعائره تقام، وأنه فى حنايا الضلوع، وأنه من قبل ظهور المتاجرين به، محاط بالتبجيل والتكريم والخشوع، بيد أن إقحامه فيما ليس من شأنه جهل وتجهيل، واستهانة بالعقول بلا دليل، وما أجدر من يتاجرون بشعار البركة أن يرجعوا البصر فى العالم،

فيرتد البصر خاسئا وهو حسير، حين يرونها تحل فى الولايات المتحدة الامريكية، وتتنزل أهلا فى الأقطار الأوربية، وتمرح سهلا فى أعتى قلاع الشيوعية، وتتقافز طربا فى اليابان البوذية، بينما نلتمسها نحن فلا نجدها، ونبحث عنها فتعز علينا، ونغازلها فتأبى، وندعوها فتراوغ، ونخطب ودها فتفر، ولا علاقة لذلك كله بالإسلام، فالساحة غير الساحة، ورحمة الله أعز من أن تعم من ينكرون على دينه السماحة، ولا يرون فيه إلا تمزيقا للأشلاء، وسباحة في الدماء، ولقد أعز الله الغرب بنيوتن ورايت ولافوازييه وباستير لأنهم يأخذون بالأسباب، وابتلانا بأقوام أخرين، **بالنميرى والمكاشفى والترابى***، لأننا لا نلقى بالا لتخمتهم وهم يحدثوننا عن الزهد، ولا لامتلاء جيوبهم وهم يمتدحون الخصاصة، وبينما أهلك علماء الغرب أنفسهم فى سباق الفضاء، أهلك علماؤنا أنفسهم فى قضايا أخرى، مثل آداب **الإستنجاء، والدعوة لقضاء الحاجة فى الخلاء***، وفرق بين هلاك معز، وهلاك مذل، وإن شئت قل، فرق بين من يأخذ بيد الكل، وبين من يطلب الاجتهاد فيكل، ومن يسعى وراء ظاهر النص وليس جوهره فيَضل ويُضل: أيحسب هؤلاء أن البركة

* الكلمات بالحروف الثقيلة وردت فى أصل المقال، ولم ترد عند نشره

تحل سدى، وأن بيدهم مفاتيح المأوى، وأن إفكهم هدى، وأن عبثهم سيبقى، ثم يرتفع سامقا، وأن لهم الآخرة والأولى، واليد الطولى، وإننا لأوهامهم تُبَّع، وأنهم يتلقّون إلهامهم من فوق سماوات سبع، سبحانه وتعالى حين قدر، وأعلى قوما لأنهم أقدر، وما كان لنا أن نتحجج بأنه قدر، أو نتبجح بأنه ابتلانا دون الأولى، وأن ابتلاءه رضا عنا، وغضبه كرامة لنا، ألا ساء ما يحكمون ..

لهم أن يعلموا، إن كانوا لا يعلمون، أن دعوتهم للحكم الدينى سوف تكون سببا فى انفصال الجنوب، وأن العصر لم يعد عصر إجبار فريق على الانصياع لعقيدة فريق، وإن للإسلام روحا وجوهرا يسبقان النص، وهما المدخل الوحيد لفهمه، وتوقيت تطبيقه، أو تأجيل تطبيقه، ولولا ضيق المساحة لفصلنا لهم ما فعله عمر، وكيف اجتهد حيث قعدوا، وغاص فى روح النص حيث توقفوا عند ظاهره، ولعله لو عاصرهم لأنكروه، ولو فعل ما فعل فى عصرهم لاتهموه، وليتهم يدركون أن العمل فى ميزان الإسلام الصحيح أفضل من الاعتكاف، وأن الرحمة والتكافل يسبقان السياف، وأن حل مشكلة الجنوب لا يكون بأسلمة أهله، ولا يفرض الشريعة على من لا يدينون بها، ولا بافتعال المعارك مع البابا وغير البابا، ولا بالتلاعب بعواطف السودانيين

من مدخل تسييس الدين .

ويا سوداننا الحبيب لك من عاشق شمالى حب بلا حدود، وعشق لا يعترف بالحدود، وقلم لا أظن أن كلماته سوف تضيع سدى ..

ثلاثية الشيخ صلاح

قصة المقال: هذه ثلاثة مقالات، جميعها عن واقعة محددة، بطلها الشيخ صلاح أبو اسماعيل، الذى أغروه بى وقت أن كنا فى حزب الوفد معا، وكان هو اسما لامعا، وكنت اسما مغمورا، ولعل هذا ما أغراه، فهاجمنى بحدة، فرددت عليه بشدة، ولعلى كنت - وما زلت - أسعد الناس بخصومته، وأحرص الناس عليها، فما أوضح أخطاء الرجل، وما أكثرها، وما أبعد الشقة بين ما يدعو إليه، وما ينغمس فيه من قمة رأسه إلى إخمص قدميه، وسوف يجد القارئ فى المقالات الثلاثة نموذجا واضحا لهذا، حيث نقدته فى المقال الأول الذى نشرته الأخبار، فرد على ردا مبهما، أنكر فيه كثيرا مما ذكرت، فكان أن فاجأته بما لم يحسب له حسابا وهو الوثائق فى مقال تال نشرته الأخبار أيضا، نصحته فيه بالسكوت وإلا نشرت ما هو أكثر، فلما سكت داعبنى شيطان المداعبة، فكتبت المقال الثالث (السكوت علامة الرضا) الذى لم تنشره الأخبار...

أطرف ما فى الأمر أن المدافعين عن الشيخ صلاح، تجاهلوا الاتهامات تماما، وركزوا على نقطة واحدة، وهى أن حصولى على الوثائق يقطع بصلتى بأجهزة

الأمن، ولعلها فرصة أن أوضح لهم كيفية حصولى على المستندات، فقد شاء حظى، والله هو الموفق بالطبع، أن يشكل المساهمون فى شركة الهلال مجلس إدارة مؤقت لمتابعة أعمالهم وأموالهم، واختاروا لرئاسته صديقى الدكتور محمد كامل ريحان، أستاذ الاقتصاد الزراعى، والمشرف على فى رسالة الماجستير، ومن هنا توافرت أمامى المعلومات والمستندات والوثائق، وما رميت إذا رميت، ولكن الله رمى، والا إيه يا شيخ صلاح ..

المقال الأول : يا شيخنا الجليل إياك والقضاء*

نشر فضيلة الشيخ صلاح أبو إسماعيل فى جريدة الوفد، مقالا مضمونه نفى حصوله على خمسين ألف جنيه، من آل الريان ليست من حقه، وذكر أنه ينوى اللجوء للقضاء انتصافا من وزير الداخلية الذى أعلن ذلك، ولما كان الدين النصيحة فإنى أكتب إليه متمنيا عليه، بل ومتوسلا إليه أن لا يفعل. لأن الحق للأسف الشديد ليس معه بل مع الوزير، ولأن ما خطه قلمه يثبت دعوى الوزير، ويثير من القضايا الفقهية والفكرية ما يثير ...

* نشر فى جريدة الأخبار بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٨٨

إن القصة التى ذكرها الشيخ صلاح باختصار أنه أودع مائتى ألف جنيه مصرى من أرباحه (فى الخارج) فى شركة الهلال، ثم سحب منها مائةألف وبقيت مائة، ثم أفلس صاحب شركة الهلال وهرب إلى الخارج، وأعلن الريان عن عزمه على شرائها، وهنا تقدم إليه الشيخ الجليل وحصل منه على المائة ألف التى تخصه، وتعقيبنا نوجزه فيما يلى:

أولا : منذ هرب صاحب شركة الهلال وحتى لحظة كتابة هذا المقال، لم يحصل مودع واحد فى الشركة على أمواله أو جزء منها، وبعض المودعين أو المقرضين لهم قصص ومآسى يشيب من هولها الغراب، وبعضهم شهير مثل لاعب الكرة محمودالخطيب، والجميع مشتركون فى هم واحد، وهو أنهم منذ هروب الرجل وحتى الآن لم يحصلوا على مليم واحد من أموالهم، والوحيد الذى حصل على أمواله (على داير المليم) هو شيخنا الجليل ولست أدرى هل يعتبر استغلال المكانة أو الاسم أو الصفة فى حالة الغرم غنما للرجل أم غرما للمودعين أم حلالا أم حراما أم أمرا مشتبها.

ثانيا : أعلن الريان قبل الشراء أن المودعين سوف يحصلون على ثلثى أموالهم ثم عاد وأعلن عند الشراء

أنهم سوف يحصلون على نصف أموالهم وعلى مدى عامين، ولما كان رصيد الشيخ صلاح بالشركة مائة ألف، فإن ما يستحقه هو خمسون ألفا يحصل عليها على عامين، وحيث أنه حصل على المائة ألف كاملة، فإن ذلك يعنى أنه حصل على خمسين ألفا زائدة دون وجه حق، وهو نفس ما ذكره وزير الداخلية.

ثالثا : الحقيقة التى تجاهلها الشيخ صلاح أن الريان لم يشتر الهلال بعد، وأن كل ما حدث هو اتفاق على الشراء ودفع لمقدم الثمن (مليونين من الجنيهات) ثم حدث ما حدث ولم يكتمل الشراء، ولم يدفع الريان باقى الثمن المتفق عليه فى الأوقات التى حددها، وعليه يصبح الشراء باطلا، وتصبح تصرفات الريان فى أمور الهلال باطلة، ويصبح المبلغ الذى أعطاه للشيخ صلاح وهو مائة ألف جنيه، أمانة فى عنقه لابد وأن يردها للمودعين فى شركة الريان، وعليه أن ينتظر تصفية أموال شركة الهلال، ووقتها يحصل على حقه مع غيره من المودعين أو المقرضين متحملا نصيبه فى قسمة الغرماء.

رابعا : ما بال الشيخ صلاح يخالف ما يدعونا إليه من إصلاح للدنيا بالدين، وقمة هذا الإصلاح فى رأيه

يتمثل فى النأى بالأموال عن شبهات ربا البنوك، واستثمارها إسلاميا، حيث المشاركة فى الغنم والغرم، أى فى الربح والخسارة، ما باله (وهو الصادق مع نفسه دائما) ينأى بأمواله بعيدا عن الخسارة فى أول تجربة، وينزهها عن النقصان فى أول استثمار، بينما المطلوب منه أن يعطى المثل ولو على نفسه، وأن يكون أول السابقين إلى تطبيق القاعدة، ولو فعل هو وأمثاله غير ذلك أو عكس ذلك، لوجدنا عذرا للشباب المتطرف فى تطرفه، متمثلا فى افتقاد القدوة، وتناقض أقوال (الائمة) مع فعالهم.

خامسا : ذكر الشيخ فى مقاله أن المائتى ألف جنيه التى أودعها فى الهلال، كانت من (أرباحه) نتيجة التوعية الدينية فى الخارج، وهو نفس ما ذكره بالنسبة لسيارته المرسيدس الحديثة فى حديث سابق، وليس فيما ذكره أى مدعاة للانتقاد، بل لعل فيه ما يستحق التقدير، ذلك لأنى احترم من يقدر علمه، ولا يبيعه أو يذيعه بثمن بخس، بل ويغالى أحيانا احتراما منه لنفسه ولعلمه ولقيمته، بيد أنه من المتيقن أنه حصل على أمواله بالعملة الصعبة دينارا أو ريالا، ثم أودعها بالجنيه المصرى، فهل يا ترى حولها فى المصارف

الرسمية، أم قايضها مع تجار العملة استنادا إلى فتوى بحل تجارة العملة رغم تجريمها قانونا، وهل فعله هذا بمقاييس الدين الصحيح حلال أم حرام، ليس فى رأيه فقط بل فى رأى فقهائنا الأجلاء ...

ما سبق لا يزيد عن كونه خواطر سريعة، كتبتها على عجل، حتى أناشد شيخنا الجليل أن لا يرفع الأمر إلى القضاء، لأنه سوف يخسر ونخسر معه مكانة رفيعة فى الزهد والتقوى، واسما يقدره جيراننا حق قدره، وعلما يمثل موردا من موارد العملات الصعبة لخزائننا الفقيرة، وإماما مناضلا عن صحيح الدين فى الخليج، هداه الله وإيانا سواء السبيل، وغفر له ولنا وللمسلمين.

المقال الثانى : بالوثائق يا مولانا *

حزين أنا للموقف الذى وضعنى فيه الشيخ صلاح أبو اسماعيل، حين أنكر ما نشرته عنه فى مقال (ياشيخنا الجليل إياك والقضاء)، ومبعث حزنى هو اضطرارى لنشر الوثائق التى تدينه بإنكار الحقائق، وتضعه أمام الرأى العام فى موقف لا يحسد عليه، فهو

* نشر فى جريدة الأخبار بتاريخ ٢ يناير ١٩٨٩

إن أنكر الحقيقة. دمغته الوثيقة. وإن هتف بمقولته (تعالوا نصلح الدنيا بالدين)، أدانته فعال هى بالدنيا ألصق ما تكون، وعن الدين أبعد ما تكون، وإن أعلن فى محاكمة الناجين من النار عن كفر من أنكر معلوما من الدين بالضرورة، وجد نفسه فى موقف من خالف مفهوما من الدين بالضرورة، وإن دعا فى مواعظه إلى التأسّى بمن كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وجد نفسه بعد حديث الوثائق مؤثرا لنفسه على من بهم خصاصة، بيد أن عزائى فيما سأذكره أن تصرفات الشيخ ليست حجة على الإسلام، ولا على علمائه الأفاضل ولا على نظرائه ممن يخلطون أوراق السياسة والإقتصاد والدين.

الآلاف التى ضلت الطريق :

اعترضت على حصول الشيخ على مجمل إيداعاته فى الهلال بعد إفلاسها، من أحمد الريان بعد عزمه على شراء الشركة مستندا إلى إعلان الأخير عن رد نصف الإيداعات ثم إعلانه بعدها عن رد الثلثين، ورد الشيخ مؤكدا أن هذه التقديرات كانت قبل تقييم أصول الشركة فى قبرص، ذلك التقييم الذى كفل له وللمودعين أن يحصلوا على أموالهم كاملة، ولا عبرة

بحديثى ولا بحديث الشيخ الجليل ولا بتصريحات الريان أمام الوثائق التالية:

١ - الوثيقة الأولى: قبل تقييم أصول قبرص، بتاريخ ١٩٨٨/٤/١، توضح الاتفاق الذى تم بين أحمد الريان والمودعين على شراء شركة الهلال بشيكات قيمتها ١٤.٣ مليون جنيه تعادل (كما ورد بالاتفاق)٣٥.٠٪ من قيمة الإيداعات مضافا إليها قيمة الأرباح من ١٩٨٨/٤/١ على أن يبدأ سداد الشيكات من ١٩٨٨/١٠/١٥ وإجمالى المدفوع متضمنا الأرباح يمثل ٤٠٪ من قيمة الايداعات.

٢ - الوثيقة الثانية :

توضح الموقف بعد تقييم أصول قبرص، وفيها تم الاتفاق على رد ما قيمته ٢٥٪ من الايداعات وذلك فى ١٩٨٨/٨/٣. وبالجمع بين الوثيقتين يتضح أن إجمالى ما تم الاتفاق عليه - شاملا أصول قبرص - هو سداد ٦٥٪ من الإيداعات وذلك على أقساط تبدأ من ١٩٨٨/١٠/١٥، بينما حصل الشيخ على أمواله وهى مائة ألف جنيه، نقدا وعداً، كاملة غير منقوصة، وقبل استحقاق الدفع بشهور، متضمنة خمسة وستين ألفا هى حقه المؤجل،

وخمسة وثلاثين ألفا ضلت طريقها إلى جيبه الكريم بينما طريقها الصحيح هو الوفاء بحقوق صغار المودعين، وبعضهم يتامى، وبعضهم أرامل، وبعضهم لا مورد له إلا ذلك المال الذى ضاع بعضه بين الهلال والريان والشيخ.

الحلال بين والحرام أبين :

لا خلاف حول دعوة الإسلام إلى المساواة وإلى التكافل وإلى المشاركة فى الغرم والغنم، ولا خلاف حول أن محك هذه القيم هو التجربة العملية، وليس الحديث المعسول،والخطب المسموعة،والمقالات المسجوعة، وليقارن القارئ بين ثلاثة أمور، أولها أقوال الشيخ وثانيها فعال الشيخ، وثالثها ما تكشفه الوثائق الواضحة.

لقد ألح المودعون فى الهلال على الريان أن يصرف لهم أى شئ من أموالهم لحين استحقاق شيكات الدفع، ووافق الريان على أن يصرف لهم ١٪ (واحد فى المئه) من أموالهم بشيك توضح مضمونه الوثيقة رقم (٣) وهى إجمالى ما حصل عليه المودعون فى الهلال حتى الآن .. واحد فى المئة يا مولانا الجليل، وإذا طبقنا

ذلك على إيداعاتك وهى مائة ألف، فإن مقدار ما تحصل عليه إذا تساويت مع إخوتك من المودعين هو ألف جنيه لا أكثر ولا أقل بينما حصلت أنت على المائة ألف كاملة، وفيها خمسة وثلاثون ألفا لا نرضاها لك وإن رضيتها لنفسك، وأربعة وستون ألفا تميزت بها عن غيرك، وحصلت عليها وحدك، وقبل الهنا بسنة كما يقولون، وهو عين ماذكرناه لك وأنكرته، من أنك غنمت وقت غرم الآخرين، رغم شعارك وأشعارك عن تميز المشاركة عن فوائد البنوك، وكيف أنها غنم وقت الغنم، وغرم وقت الغرم، وإن كانت فتواك الدينية قد أباحت لك ما أبحت لنفسك، فأنا مستعد أن أحتكم معك إلى من تختار من الفقهاء، لنسأله عن حكم الدين فى هذا السلوك، ذلك لأن الحلال بين يا مولانا، والحرام أبين.

وهناك ما هو أكثر:

ونقصد به الأمر العسكرى رقم (٤) والذى ألغى كافة التعاملات مع شركة الريان، والتى تمت من يناير ١٩٨٨، ومن بينها يقينا ذلك التعامل الذى تم معك بعد ذلك بأكثر من أربعة شهور، وعليه يا مولانا فأنت مطالب بأن ترد المائة ألف كاملة لهيئة سوق المال، لحين التصرف فى أموال الشركتين، الريان والهلال، بما

يرضي الله، ويحق الحق.

وليس لنا فى النهاية إلا أن نضرب صفحا عن ذكر حقائق أخرى، وعرض وثائق أخرى، ونقل شهادة آخرين عن سبب رد الريان لأموالك، فلربما أخذتك العزة بالنفس وحاولت الرد من جديد.

وتبقى كلمة أخيرة:

وهى نداء منى إلى ضمير الرجل، أن يدرك أن الدنيا متاع الغرور، وأن الأموال زائلة، وأن الباقيات الصالحات خير وأبقى، وأن مكانته الدينية أكبر بكثير من آلاف ولو كانت بالمئات، ربحها (كما ذكر) من الإعلام فى دول شقيقة، وذهب بعضها عندما (أفلست شركة الهلال) على حد قوله فى مقاله بجريدة معارضة، ولعل بعضها يبقى له حلالا مباركا، ولعله يتذكر معنا حديث الرسول إلى عبدالرحمن بن عوف، وكيف أثقلت ثروته خطاه إلى الجنة وهو أحد كبار الصحابة، ولعله يتأسى معنا بزهد على وتقشف أبى ذر وفقر عمار، ولعله يتذكر معنا كيف كان الرسول لا يشبع من أكل خبز الشعير يومين متتاليين، وكيف أسود لون جلد عمر من أكل الخبز بالزيت، وكيف وهذا هو المهم، كان أجدر به

أن يصمت فنصمت، ويكف فنكف، أغنانا الله وأغناه عن زينة الدنيا، وحقوق الآخرين، وأموال صغار المودعين، ووقانا شر المكابرة فى الحق، والأمر لله من قبل ومن بعد، والتصرف لهيئة سوق المال.

المقال الثالث : السكوت علامة الرضا *

السكوت علامة الرضا، وقد سكت الشيخ صلاح أبو اسماعيل، متجاهلا ما عرضناه من حقائق، وما نشرناه من وثائق، وما كان له إلا أن يسكت، فالغرم على غيره من المودعين وليس عليه، والنقود كاملة بحمد الله بين يديه، والناس فى مصر تنسى بعد حين..

نعم، لقد صمت الشيخ مستجيبا لندائنا أن يصمت فنصمت، لذا لن يكون حديثنا عنه، وإنما عن هيبة القوانين..

القانون فى مصر وفى غير مصر، يوضع للجميع، ومفروض أن يطبق على الجميع، لكن البعض يتصور (مخطئا) أنه يوضع لصالح أصحاب النقوذ المحظوظين، وأنه يطبق فقط على الضعفاء المقهورين.

لقد صدر الأمر العسكرى رقم ٤، مبطلا تصرفات

* أرسل لجريدة الأخبار ولم ينشر

شركة الريان من أول ابريل ١٩٨٨، وقد تسلم الشيخ من الريان شيكا بمائة ألف جنيه، بعد الموعد المذكور، واعترف بذلك علنا فى مقال منشور وبطلان التصرف يعنى إعادة الحق إلى نصابه، بإعادة المبلغ إلى أصحابه، بيد أن الرجل لم يفعل، ولعله خاف من الحاسدين، ولعله نسى أن القانون هو القانون، وأن الكل أمامه سواء، وأن ميزان العدالة لا يعرف الحصانة، ولا يهتز أمام مولانا، ولا يميز بين رجال الدنيا ورجال الدين ..

اللهم لا تزغ أبصارنا بعد أن هديتنا إلى قضية متكاملة الأركان، بين الشيخ والريان، نهديها حديثا إلى الخاص والعام، وبلاغا إلى النائب العام، وهب لنا من لدنك يارب رحمة، إنك أنت الرحمن، وارزقنا بالحلال وطهرنا من رجس المساس بأموال الآخرين، اللهم آمين.

فتاوى آخر الزمان

قصة المقال : كاتب هذه السطور له موقف معلن ومعروف من حرب العراق وإيران وهى حرب وطنية وحضارية بكل المقاييس، وليست أبدا حربا دينية بأى مقياس، وأسوأ ما ابتليت به أمتنا هو دخول فقهاء الدين فى ساحة السياسة، وما ينتج عن هذا الدخول من آراء غريبة وأفكار شاذة، تهمل فيما تهمله مشاعر الوطنيين وقداسة تضحيات الشهداء، ومن نماذجها ما أعلنه الشيخ الشعراوى من سجوده لله (ابتهاجا) بهزيمة يونيو ١٩٦٧، وما أفتى به الشيخ عبدالجليل شلبى، ربما بكل حسن النية، وهى فتوى أعترف بأنها صدمت مشاعرى، واصطدمت بعقلى، فكان هذا المقال، الذى أرسلته لجريدة الأخبار، ولم تنشره.

المقال : فتاوى آخر الزمان*

تحت عنوان (الحرب العراقية الإيرانية دخلت عامها الثامن) كتبت جريدة الأخبار - الجمعة ١٩٨٧/٩/١٨ - ما نصه "الدكتور عبدالجليل شلبى

* أرسل لجريدة الأخبار ولم ينشر

الأمين السابق لمجمع البحوث الإسلامية يتحدث بكل الأسى والمرارة عن هذه الحرب، يقول أن ضحاياها ليسوا من الشهداء فإن أيا من الطرفين لا يدافع عن الإسلام، وأولى أن ينطبق عليهم قول النبى صلى الله عليه وسلم "إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار - أضاف الدكتور عبدالجليل شلبى: أنه لا يشفع لأى من الطرفين أنه مكره، لأن المسلم إذا أكره على قتل برئ أو هتك عرض، فإن هذا الإكراه لا يبيح له هذا العمل لأنه حينئذ يفتدى حياته بحياة شخص برئ؟!"

والمعنى واضح :

فحديث الشيخ معناه ببساطة: ١- أن أكثر من مائة ألف شهيد عراقى ليسوا شهداء، بل إن مصيرهم النار. ٢- إن الواجب الإسلامى يحتم على أفراد الجيش العراقى اعتزال الحرب دون احتجاج بإطاعة الأوامر لأنه لا إكراه فى معصية. ٣- أن ما يفعله المحاربون الآن على خط النار لا يختلف - قياسا - عن موقف من يقتل بريئا وهو مكره أو يهتك عرضا وهو مكره فالجميع آثم. ٤- أن على أسر الشهداء العراقيين أن تقيم المآتم ليس لمصرع الأبناء. بل لمصيرهم. ٥- إن على أسر المحاربين العراقيين أن تفزع ليس لهول الحرب بل لمجرد اشتراك

أبنائها فيها، وأن تناشد الأبناء، ليس الصمود، بل العدول والنكول، لأنهم آثمون فى الحرب إن نجوا منها، خالدون فى النار إن لقوا مصارعهم فيها...

ومعذرة للشيخ الجليل :

نعم، معذرة لشيخنا الجليل، الذى يعلم ما لا نعلم، والذى تعلم ما لم نتعلم، إذا ذكرنا له أن سنده لا يستقيم مع فتواه، وأن قياسه لا محل له فى فتواه. وأن فتواه فى النهاية، غير صحيحة، لأننا نرى الأمر على عكس ما يراه.

ولعلنا نحمد الله كثيرا على تركه لأمانة مجمع البحوث الإسلامية، لأنه لو أفتى بما أفتى وقت توليه، لأصاب منصبه الجليل من ردنا رذاذ، ولا يحسبن الشيخ الجليل أننا نحتد فى العبارة، أو نتزيد فى القول، فلحديثنا سند، ولفحواه منطق، ولقياسه أساس، وهو أمر جد مختلف عن حديثه الحافل بالهول، المفزع بغريب القول، الخارج علينا بما نأباه عن علم، وما نرفضه بعد تمحيص ودراسة ...

ونبدأ بالسند :

يستند الشيخ الجليل إلى حديث الرسول الكريم (إذا اقتتل المسلمان فالقاتل والمقتول فى النار)، والحديث بنصه السابق لا يجوز تعميمه فى شأن الاختلاف بين طوائف المسلمين أو دولهم، لأننا لو فعلنا - وقد فعل الشيخ الجليل - لفتح ذلك علينا بابا من أبواب الجدل والفتنة، لا نملك ولا يملك الشيخ الجليل إغلاقه، ناهيك عن الرد على أسئلة دون القارئ - وقبل ذلك الشيخ - بعضا منها :

- ألم يكن الفريقان فى موقعة الجمل من خيار المسلمين؟ ألم يكن على رأس الفريق الأول على وعمار وابن عباس، وعلى رأس الفريق الثانى عائشة والزبير وطلحة؟ ألم يقتتلا حتى سالت الدماء أنهارا وحتى قتل من الفريقين أكثر من عشرة آلاف منهم كثيرون من خيار الصحابة وكبار التابعين؟ هل كلّ القتلة فى النار؟ وهل كل المقتولين فى النار؟ وهل عمار فى النار؟ وهل طلحة فى النار؟ وهل الزبير فى النار؟، أحسب أن الشيخ لن يجيب، ولو أجاب لأجبناه، ولو رد علينا لحاججناه ...

- ألم يكن الفريقان فى معركة صفين من خيار المسلمين وكبار الصحابة والتابعين؟ هل كل القتلة

والمقتولين فى النار ؟ أحسب أن الشيخ لن يجيب، ولو أجاب لحاججناه ...

- ألم يقتتل المسلمون فى كربلاء؟ ألم يسقط آل البيت صرعى وشهداء؟ قوتلوا وقاتلوا، قتلوا (بفتح القاف والتاء) وقتلوا (بضم القاف وكسر التاء). وأحالوا علينا سؤالا نحيله إلى الشيخ الجليل، هل القتلى جميعا فى النار ؟ وهل القتلة جميعا فى النار ؟ وهل يتساوى هذا مع ذاك؟ وهل يخلد هذا وذاك فى عذاب جهنم؟ أحسب أن الشيخ لن يجيب .. هو سند لا يصح تعميمه إذن. وإنما يجب حصر معناه فى قتل الفرد المسلم للفرد المسلم فى ديار الإسلام، حيث أرواح المسلمين حرام على المسلمين إلا بحقها، قصاصا أو حداً، أما أن يطلق المعنى بلا حدود، ويحكم به الشيخ فى بساطة ويسر على أحوال الشعوب ومصائرها، فلنا فى هذه الحالة أن نراجع الشيخ وفى حلوقنا غصة، وفى نفوسنا ألم، وفى قولنا مرارة، قائلين له حاذر، فأنت تركب مركبا صعبا، وتحمّل الحديث معنى لم يرد، وتقحمه حيث لا يجوز، وتستنبط منه ما لا يستقيم، وتورد من يستمع لقولك فيظنه صوابا مورد التهلكة ..

وننتقل إلى القياس :

حين يقتل المسلم العراقى مسلما ايرانيا يهاجمه فى عقر داره، ويستبيح دياره. ويستجيب لفتوى إمامه الخمينى بأن جند العراق أسرى، وأن أرض العراق غنيمة، وأن حكام العراق كفرة، وأن نساء العراق سبى ...

حين يفعل الجندى العراقى ذلك مدفوعا بحميته، ووطنيته، مأمورا بالدفاع من قادته، يخرج فى رأى الشيخ على قواعد الإسلام، لأن واجبه الإسلامى فى تقدير الشيخ أن يرفض الأمر، وأن يحمله على محمل الإكراه على قتل الأبرياء أو هتك الأعراض ...

ترى هل أتجاوز الحد، إذا ذكرت لشيخنا الجليل أن قياسه فاسد، وأنه لو فكر قليلا، وتدبر الأمر قبل إطلاق الفتوى، لما دفعنا إلى سؤاله عما ترك لمن يفتون بغير علم، ويقيسون بغير دليل، ويحكمون بغير سند.

وتبقى الفتوى :

جل من لا يخطئ يا شيخنا الجليل، ولعلها كبوة جواد عظيم، وهفوة عالم كبير، ولعل تواضع العلماء، يدفعك إلى أن تسمع منا، وما ضرك لو سمعت منا قولا نراه حقا، ونراك أهلا لسماعه، وجديرا باتباعه، لا لشئ

إلا لأن الحق أحق أن يتبع ..

إن الدفاع عن الأوطان يا شيخنا، إسلام فى إسلام، ولا يشفع لمن يهاجم أوطاننا أن يكون مسلما أو غير مسلم، صادقا فى دعواه أو مدعيا في صدقه .. إن حماية الرجال من الأسر، والنساء من السبى، والثروة من النهب، إسلام فى إسلام، ولا يشفع للآسر أو للسابى أو للناهب أن يرفع مصحفا، أو أن تزين رأسه عمامة، أو أن تعلو جبهته زبيبة صلاة .. إن من ينشر دعوته بالسيف لا بالتى هى أحسن، وبالعنف لا بحسن القول، وبالرصاص لا بالحسنى، جدير بالرد عليه من جنس فعله، لا تحميه منا عمامة سوداء، أو عصابة على الرأس تحمل اسم الشهداء .. إن من يقصر فى حماية أرضه وعرضه وماله من المعتدين، غير جدير بحمل صفة الإسلام، ولا أسماء المسلمين.. إن من يقتل المعتدى لا يتساوى مع قاتل البرئ، ومن يحمى عرضه لا يتساوى مع هاتك العرض، ومن يموت ذودا عن أرضه وعرضه شهيد، ومن يخرج مجاهدا فى سبيل الحضارة وحق الإنسان فى الأمان، وحدود الأوطان، لا يدخل النار، والأحرى بالنار من يهرب أمام نار المعتدين، ومن يفر من الدفاع عن أرض المسلمين.

ويبقى الأهم :

قلنا كثيرا لا تخلطوا أوراق السياسة بالدين، وحسبكم أن تدلونا على صحيح الدين وصواب العقيدة، وأن تنزهوا الدين عن مزالق السياسة وفعال الساسة، حيث لا عاصم إلا حسن التفكير، وسلامة المنطق، وحق الأوطان، ووحدة المواطنين، ونعيدها مرة أخرى بعد أن زادتنا الفتوى السابقة يقينا فوق يقين.

وأخيرا :

من يصدق ما يحدث على أرضنا الطيبة؟ يدفع الشباب العراقى حياته فداء لوطنه، ودفاعا عن البوابة الشرقية للأمة العربية، وبدلا من الترحم عليه وتمجيد بطولاته، وتخليد ذكراه، يتطوع البعض بنفى الشهادة عنه وإرساله للنار، وتبشير السائرين على دربه بعذاب سقر، ومقارنتهم بهاتكى الأعراض.. فى أى زمان يا ترى نعيش؟

زواج المتعة بين السعد والريان

قصة المقال : هذا أحد أقصر ما كتبت من مقالات، فقد صحونا يوما فإذا بالصفحة الأخيرة فى كل الجرائد الصباحية، مزدانة بإعلان مثير عن اندماج العمالقة، السعد والريان، وهما أكبر شركتين لتوظيف الأموال. وبعد أيام أرسلت هذا المقال القصير، وعندما قرأه المشرفون على التحرير، كانت بعض نبوءات المقال قد تحققت فقد تراجع طرفا الاندماج عن عزمهما، والآن وبعد شهور تحققت البقية، ولعله كان أول إشارة إلى (النصب) وإلى ما حدث لبعض أصحاب شركات التوظيف بعد ذلك، تماما كما ورد فى آخر سطر من المقال ...

لم يكن مقالا إذن .. بل كان نبوءة ...

زواج المتعة بين السعد والريان *

هو زواج متعة لا ريب، لأنه فى اعتقادنا إلى أجل، بل إلى أجل قريب ولأنه لا يتوافر به ما يتوافر للعقد

* أرسل للأهالى ولم ينشر، حيث تجاوزته سرعة الأحداث

الشرعى من شروط، فلا تأسيس لكيان قانونى جديد، ولا تصفية لكيان قديم، ولا إخطار لمصلحة الشركات، ولا إعلان، لمصلحة الضرائب، وكلاهما ولى أمر شرعى لطرفى التعاقد، ولا تحقق من الإيجاب والقبول لدى المساهمين، والأمر كله لا يزيد فى تقديونا عن نظرة عين هنا أصابت بسهامها كبدا هناك، وإذا بالبشرى تزفها إلينا حرارة القبلات، بينما تشى النظرات بلواعج لا تدرى أهى الهوى أم الجوى أم الرضا بما تم، أم الترقب لما هو آت ..

أغلب الظن وبعض الظن إثم، أن الأمر قد اقتصر على قراءة الفاتحة، وعلى الاتفاق على حملة إعلانية ناجحة، وأن أوراقا كتب عليها اسم السعد، تم خلطها بأوراق كتب عليها اسم الريان، فاختلط الإسمان، وأصبحت كل شركة فى خبر كان، وخبر كان منصوب، والنصب له أشكال وألوان.

كيف يحدث هذا فى مصر، وفى حق مساهمين بمئات الألوف، ومساهمات بالمليارات، فيعلن عن الزفاف، بل عن الرفاء والبنين، دون أخذ رأى المساهمين، ودون أخذ موافقة السلطات، ودون إجراءات،

ودون ما هو ضرورى ومطلوب من الروتين.

الحمد لله الذى أحيانى لهذا اليوم، حتى أرى العوائق تزال، والحواجز تتحطم، والروتين ينسف، والمساهمين يهملون، والمليارات تدار بالقبلات، والمودعين ينذهلون بالمفاجآت، والحكومة فى سبات، والكل سعيد بالإعلانات، متيقن مما هو آت، يوم يفر المرء من أخيه، وشريكه ومودعيه، لكل امرئ يومئذٍ همٌ يكفيه، أو مكان أمين يودع فيه.

كان درسا عظيما يا إمام

قصة المقال : في ليلة هادئة من ليالي الصيف، كانت إحدى الفرق المحلية المتواضعة، وهي فرقة ساحل سليم المسرحية، تستعد لعرض مسرحية (أخلاقية هادفة) في قرية كودية الزار بمحافظة أسيوط، مستخدمة أدوات بسيطة، مثل طاولات البيع المستخدمة في الأسواق، كخشبة مسرح، وملاءات الأسرة كستارة، وبعض كراسي المقاهي كمقاعد للمتفرجين، وعلى الناحية الأخرى من الترعة، تجمع المجاهدون من أعضاء الجماعات الإسلامية، في أحد المساجد، ومعهم الميكروفون، الذي أعلن من خلاله أميرهم، فتواهم الشرعية بحرمة التمثيل، وكفر من ألف المسرحية ومن أخرجها ومن مثلها ومن رآها، وفي لحظة محددة، غمز بعينه فارتفع هتاف أحدهم. لا إله إلا الله، الثقافة عدو الله، ذلك الهتاف الذي قاد المسيرة المسلحة بالجنازير والأسلحة البيضاء وغير البيضاء، ولم يكن ثمة مفر من استدعاء الأمن، وسقوط بعض الجرحى والقتلى من الجماعات، ويقينا فقد شمل كشف الضحايا آخرين، منهم المسرحية التي تمثل، والفرقة

التى أصابها الرعب، والممثلة الوحيدة التى انهالت على خدودها لطما وهى تلعن اليوم الأسود الذى قاد أقدامها إلى ما يمت للثقافة بصلة، ووسط ردود الفعل الغاضبة من المثقفين والفنانين فى القاهرة، تفرد عادل إمام، أكثر النجوم شعبية وشهرة، بموقف لن ينساه له التاريخ.

لقد أعلن عادل إمام عن عزمه على تمثيل مسرحيته (سيد الشغال) دون أن يغير من مواقفها موقفا، أو من حروفها حرفا، فى عاصمة محافظة التطرف، أسيوط، فظن الجميع أنه يتحدث بمنطق أنه ليس على المتحدث حرج، وحاول محبوه تحذيره فكان رده: جمهورى سوف يحمينى ... وفى يوم العرض خرجت أسيوط لكى تحيى موكبه فى الذهاب إلى المسرح وفى العودة منه، كما تحيى الجماهير فى أى مكان بطلها القومى ..

وقد شارك شخصى المتواضع فى تحية هذا الفنان العظيم، بهذا المقال، وشاءت جريدة الأهرام ألا تنشره ..

كان درسا عظيما يا إمام *

المقال : وأخيرا تصدى الشعب، دفاعا عن وجدان

* أرسل لجريدة الأهرام ولم ينشر

الأمة وفكرها، ورد على الخنجر بالكلمة، وعلى الجنزير بالبسمة، وعلى الردة بالفن، وما أشبه القطار الذى حمل فرقة الفنانين المتحدين إلى أسيوط، بقطار الرحمة الذى عاصرناه صغارا، وما أجدرنا جميعا بأن نستوعب درس ما حدث فى أسيوط ..

الدرس ببساطة يؤكد ما ذكرناه، وكررناه دائما، وهو أن الجهل يتقدم بقدر خوف العقلاء، والردة الحضارية تقوى بقدر تراجع المتحضرين، والعناصر الظلامية تصبح عالية الصوت عندما يخفت صوت المتنورين، قلنا هذا وأثبتته فرقة الفنانين المتحدين حين فعلت العكس، فعلا صوت العقل، وانتصر صوت الحضارة وارتفعت رايات النور والتنوير ..

الدرس ببساطة، أن الأغلبية بخير، وأنها حين يجدّ الجد تعطى صوتها لكل ما هو جميل ونبيل وأصيل وحضارى، والمشكلة أنها أغلبية صامتة، ودور الرواد أن يحركوا هذه الأغلبية فى مسارها الطبيعى، للأمام ومن أجل المستقبل، وقد أثبتت جماهير أسيوط صدق ما توقعناه، حين تحركت فاختفت خفافيش الظلام، وسكن صوتها، وداست الجماهير بياناتها بالأقدام ...

الدرس ببساطة أن قليلا من الشجاعة يصلح الوطن، وقد كان عادل إمام شجاعا، وقبله الدكتور هاشم فؤاد(١) شجاعا، وقبلهما كان مصطفى مرعى(٢) شجاعا، والشجعان يحترمهم الشعب، ويضعهم فى حبات القلوب، ويجدون مكانا رحبا فى سجل التاريخ، والتاريخ خيرٌ حافظا وهو أعظم المقدرين، فقد واجه الرسول أبا جهل وهو زعيم الكثرة الغاشمة، فأين أبو جهل من مواطن أقدام الرسول، وواجه بولس نيرون وهو امبراطور الدولة الرومانية وحاكمها الأوحد فأين نيرون من بولس، وواجه اثناسيوس اضطهاد الرومان فى مصر، وحاول أحد مريديه أن يثنيه قائلا: العالم كله ضدك يا اثناسيوس فكان رده البليغ وأنا ضد العالم، وكان أن عاد أثناسيوس إلى كرسى البابوية، وحفظه تاريخ المسيحية ركنا من أركان الإيمان والعقيدة، وواجه الحسين يزيد بن معاوية وهو الخليفة والدنيا والسلطان، فأين يزيد من الحسين، وأين الأمويون اليوم من شيعة الحسين، وواجه جاليليو مجمع الكهنة حين أنكروا دوران الأرض حول الشمس، فأين هم من جاليليو، ومن يذكرهم

(١) العميد السابق لطب القاهرة، وصاحب المواقف الشجاعة فى مواجهة التطرف والمتطرفين.

(٢) شيخ المحامين، وأحد أقطاب الجهاد الوطنى، وأحد أساتذتى.

اليوم إلا بالاستهزاء، ولست أشك فى أن درس أسيوط سوف يكون ميلادا جديدا لمزيد من الشجاعة والشجعان، ولست أشك أيضا فى أن هزل الصبية سوف يستحيل إلى زبد يذهب جفاء، وأن الإيمان بالله والوطن سوف يمكث فى الأرض ...

ويا عزيزى عادل، سألنى العشرات كيف يتصلون بك وينقلون مشاعرهم إليك فكان ردى أنك مؤمن بأن ما فعلته أنت وأعضاء فرقتك العظماء، لا يزيد عن كونه واجبا عليكم فى زمن عز فيه أداء الواجب، وحقا أديتموه للوطن، فحق للوطن أن يحييكم ويحميكم، ويشد على أيديكم، ويردد معى ما عنونت به المقال : كان درسا عظيما .. يا إمام.

ورب ضارة نافعة *

(تعليق على حديث الشيخ الشعراوى)

معترض أنا بشدة على هجوم البعض على تصريحات الشيخ الشعراوى الأخيرة (١) ليس لأننى أقبل تصريحاته، وليس أيضا لأننى أرفض حجج المهاجمين، وإنما لسبب بسيط نلمحه خلف سطور النقد أو الهجوم، وهو توقع الناقدين أو المهاجمين لصواب مقولات الشيخ الجليل، ليس فى ساحته فقط وهى ساحة الدين، تلك التى تعلمنا أنه لا عصمة لأحد فيها، بل أيضا فى كل الساحات سواء كانت ساحة الطب أو ساحة الفن أو ساحة الرياضة أو ساحة السياسة أو غيرها، وربما كان سبب ذلك ما يتصوره البعض من شمول الدين لكل هذه القضايا، وهو فهم محدود للدين تنفيه حقائق الدين والتاريخ معا، ولعل حديث الرسول العظيم إلى معاذ بن جبل حين ولاه على اليمن شاهد لا يكذب على ذلك، فقد سأله الرسول كيف سيحكم فأجابه

* نشر فى مجلة طبيبك الخاص - دار الهلال.

(١) كان رأى الشيخ أن تدخل الطب فى حالات الأزمات القلبية ومرضى الفشل الكلوى تدخل غير مستحب فى الإسراع بلقاء المرضى بالله.

بكتاب الله فقال له فإن لم تجد (وضع تحت هذه عشرة خطوط) فقال فبسنة رسوله، فقال الرسول فإن لم تجد (وضع تحت هذه عشرة خطوط ثانية) فقال اجتهد رأيى ولا آلو (وضع تحت هذه عشرة خطوط ثالثة) فدعا له الرسول بخير.

الشاهد هنا أن الرسول يوضح صراحة أن هناك أمورا تخص الدنيا قد لا يجد لها معاذ دليلا أو سندا فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله، وأن الرسول قد سعد كل السعادة حين أخبره معاذ أنه سوف يُعْمِلُ عقله، وسوف يستخدمه فى الاجتهاد وسوف يجهد نفسه فى ذلك ولا يقصر ...

ثمة أمور هنا لابد وأن نتوقف عندها وأولها أن الحديث يخص اليمن، وفتح اليمن كان فى نهاية عمر الرسول، وثانيها أن معاذا قد يجد أمورا لا سند لها فى الكتاب والسنة فى عصر الرسول نفسه، فما بالك بعصرنا بعد أكثر من أربعة عشر قرنا، وأين؟ فى اليمن، أى داخل الجزيرة العربية، فما بالك بما يمكن أن يحدث فى قطر آخر، ذى زرع، وذى حضارة، وذى تاريخ، وذى عقائد سابقة وضاربة فى أغوار التاريخ، أما آخر

الدروس وأبلغها فيتمثل فى سعادة الرسول بإعمال العقل، وهو بالقياس فى عصرنا الحديث ينصرف إلى التقدم الفكرى والعلمى.

هنا لا مفر من أن نجد أنفسنا أمام مفترق طريقين أولهما يتمثل فى الفهم الحرفى للنص، وثانيهما يتمثل فى إعمال العقل فى الفهم، والاستدلال المنطقى فى التفسير، وهنا ينتصر الفريق الأول لتفسير الآية الكريمة (وما فرطنا فى الكتاب من شىء) على أنها دلالة على أن القرآن الكريم لم يكن كتابا فى الدين والعقيدة أساسا وما يتصل بهما من شئون الحياه، بل هو ايضا كتاب فى الفن العسكرى والعلم الطبى وأصول الكيمياء والفيزياء والذرة والهندسة وغيرها، بينما يربط الفريق الثانى بين الآية الكريمة وبين حديث معاذ، بل وبين كثير من وقائع السنة الشريفة، فيقصر تفسير الآية على استكمال الدين وتمام العقيدة، ويحمد الله على ذلك كل الحمد، وينطلق بعقله فيما هو خارج ذلك إلى ساحة العلم مسلحا بأسلحته، وهى العقل والمنطق، والتجربة والخطأ، والمشاهدة، والاستنتاج، وينفتح على الحضارة فينهل منها، وعلى العلم فيستوعب فتوحاته، وعلى

لاكتشافات فينقل أحدثها، وهو راض عن ذلك كل لرضا، دون محاولة محكوم عليها بالفشل مسبقا لربط كل شئ وأى شئ بأصل دينى، حتى ولو اقتصر الأمر على المسميات ذات الجرس الموسيقى المطرب والرنين لدينى اللافت، فهذا طب إسلامى وذاك طب نبوى، وهذا علم القوارير وذاك علم الأحاجى، وهذا هو القرآن يشير إلى أحد أحدث مجالات الأبحاث وهو مجال الذرة. متناسين أننا نحن الذين ترجمنا اللفظ الأجنبى (Atom) إلى نظيره العربى (الذرة) وكان ممكنا أن نسميها باسم خر، وليكن المهموش مثلا، بيد أننا كما تعودنا فى دراستنا الأولية نكتب سطرا ونترك سطرا، ونذكر شيئا ونتناسى أشياء.

أنصار المنهج الأول هم الذين انزعجوا أشد الانزعاج لحديث الشيخ، بينما أنصار المنهج الثانى، وأنا بفضل الله واحد منهم، لم ينزعجوا إطلاقا، لأن ما حدث منطقى تماما، فالرجل رجل دين واسع الشهرة، وفقيه متميز بلا جدال، لكنه فى مجال الطب أو السياسة مثل العبد لله فى مجال الغناء أو التايكوندو وقد اخترت الغناء لأننى مشهور فى منزلى بأننى أهدد كل من يخطئ بأننى سوف أغنى، فيلزم الجميع حد الأدب

والطاعة، واخترت التايكوندو لأنى كنت أظنه نوعا من الطعام اليابانى إلى أن هدانى الله ذات يوم فقرأت أنه رياضة مستحدثة ..

ترى، هل يعتبر التعقيب السابق على ضجة تصريحات الشيخ كاملا وكافيا؟ لقد سألت نفسي هذا السؤال، وكانت إجابة النفس على النفس أننى لم أستوف الموضوع حقه، لأن ما حدث لم يحدث فى التليفزيون البريطاني مثلا، فلو شاهد أحد البريطانيين أسقف كانتربرى يتحدث فى الطب أو الهندسة مثلا، لمد يده إلى مؤشر القنوات وأداره إلى قناة أخرى، ولو وجد فى القناة الثانية ما نجده أحيانا فى مصر، أقصد وجد أستاذا فى الطب يبسمل ويحوقل وينحّى ما تعلمه فى كلية الطب جانبا، ويلقى موعظة دينية بليغة عن حكمة إيتاء الزكاة، لأغلق التليفزيون، أو انهال عليه بالمطارق، لكننا فى مصر، والشيخ هو الشعرواى، والمشاهدون هم الشعب وأغلبهم من عشاقه، وأمية القراءة متفشية، وأميّة الثقافة أكثر تفشيا والموضوع هو الإسلام، والفتوى بعيدة كل البعد عن الرحمة، والإسلام كما نعرفه دين التراحم، والرسول كما نقرأ عنه كان رحمة مهداة ..

أى مأزق هذا الذى وضع الشيخ المشاهدين أمامه، وأى مأزق وضعنا الشيخ فيه ونحن نعلق على أقواله، وكيف السبيل إلى الرد على ما أورده الشيخ، والبعض يتصور أن الرد على الشيخ رد على الإسلام، وأن انتقاده انتقاد للإسلام وأن الهجوم على آرائه هجوم على الإسلام، وأن بعضا من المفكرين أو الكتاب يتصورون نتيجة لهذا كله أن الشيخ وآراء الشيخ منطقتان محرمتان على النقد أو الاقتراب، ونحن بحمد الله لسنا من هذا الفريق، ومنهجنا مع الشيخ وأى شيخ، أن ما يقوله رأى فى الإسلام وليس الإسلام ذاته بالضرورة، ورحم الله أبا حنيفة، الذى سأله تلميذه يوما، هل ما ذكرت هو الصواب الذى لا يقبل الخطأ، فكان رده العظيم، والله لا أدرى، لعله الخطأ الذى لا يقبل الصواب..

ليكن الأمر على هذا النحو إذن .. أخطأ الشيخ، وقال رأيا هو رأيه وليس بالضرورة رأى الإسلام، بيد أن ما قاله لم يكن خطأ كله، ولعله لم يخل من فائدة ..

نعم .. إن مرضى الفشل الكلوى، ومرضى الحالات الخطيرة التى تستدعى نقل الأعضاء، ومرضى الأمراض الميئوس منها وغير المعروف علاجها الكامل حتى الآن،

والمرضى الذين ينقذهم نقلهم إلى غرف العناية المركزة يزيدون عن مليون مواطن فى مصر ...

ولو أخذنا بفتوى الشيخ، وليعذرنى هؤلاء جميعا فلست أرى رأيه، وإنما أحاول الاستطراد مع منطقه، وأقول لو أخذنا برأيه لفقدنا مليون مواطن سنويا، ومادامت نسبة الزيادة السكانية فى مصر حوالى ٣٪ أى حوالى ١.٥ مليون مواطن، فإن وفاة مليون مواطن بفضل فتوى الشيخ الجليل، أمر يهبط بنسبة الزيادة السكانية من ٣٪ إلى ١٪ فقط .. وهكذا أخطأ شيخنا الجليل فى مجال الطب وأفاد فى مجال السكان، وأنجز فى حديث واحد ما لم ينجزه جهاز تنظيم الأسرة فى عشرين عاما، وهى عبقرية لابد وأن نحمدها للشيخ الجليل ورب ضارة نافعة.

أسئلة حائرة *

شىء رائع أن يتوجه الآلاف إلى صلاة العيد، وأن يحتشدوا لسماع خطبة العيد من أئمة مشهود لهم بالعلم والفقه والدين، وشىء متوقع أن يسمع المصلون موعظة دينية لا يختلف أحد معها أو عليها، وشىء غير متوقع وغير منطقى وغير مستحب أن يستغل أحد الأئمة هذا الحشد، لكى يعرض رأيا هو رأيه، وليس رأى الإسلام، واجتهادا يثير الخلاف والفرقة حيث يجب الاتحاد والألفة، وهو إذ يفعل يضفى على رأيه واجتهاده ثقل المنبر الذى يقف عليه، وهيبة الموقف الذى يقفه، وقداسة الدين الذى يتحدث باسمه، والأمثلة فى يوم العيد الأخير كثيرة، وأوضحها ما أعلنه أحد الائمة من أن شعار القومية العربية وراءه مخطط صهيونى غربى، وهو ما لا يزعم أحد أنه إجماع المسلمين أو إفتاء الدين، وأقصى ما يوصف به أنه رأى قد يراه البعض، ويختلف معه الكثيرون، وأنه يثير الخلاف والفرقة فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى الإجتماع والإجماع، ويثير أيضا أسئلة حائرة أحدها عن موقف المسلمين من فتاوى كبار الأئمة الذين باركوا القومية العربية

---

* أرسل لجريدة الأهرام ولم ينشر

وساندوا وحدة الصف العربى، وقت أن ارتفعت دعاوى الوحدة والقومية فى الستينات، وما ذلك العهد ببعيد، وثانيها عن موقف أجيالنا الصاعدة من زعماء قد نختلف معهم وقد نتفق، لكن أحدا لا يملك أن يصفهم بالعمالة لمخطط غربى صهيونى، إلا إذا تعسف أشد العسف، ولوى عنق الحقائق ليًا لا يقبله منطق أو ضمير وطنى أو وجدان دينى، وثالثها عن موقف المختلفين مع رأى الإمام، والجالسين أمامه فى خشوع، لمنبره وليس لرأيه، ولدينه وليس لاجتهاده، وهل مطلوب منهم أن يتركوا الصلاة رفضا لمقولته أو يرفعوا الشعارات استنكارا لرأيه أو يعتلوا منبرا مواجها لتفنيد زعمه، وهل هذا هو المكان المناسب للاختلاف، وهل ضاقت سبل الموعظة الدينية وساحة الأمر بالمعروف وما أجله والنهى عن المنكر وما أكثره، حتى نقفز فوق ذلك كله بحثا عن الاختلاف فى الفروع وليس الأصول، وتعميقا للتشتت والفرقة ليس حول قاعدة دينية، بل حول رأى شارد مكانه منابر الأحزاب السياسية، وساحته صفحات الصحف والكتب والمجلات، وموقعه فى شئون الدنيا باليقين حيث المساحة واسعة للرأى والرأى الآخر، والساحة متاحة للخلف والشك واللايقين ...

ما سبق كان أسئلة حائرة أضيف إليها سؤالا آخر يخص ما طالعتنا به إحدى الصحف عن عزم وزارة الخارجية تعيين ملحق دينى فى كل سفارة ، ويأتى ذلك فى الوقت الذى ترتفع فيه الأصوات مطالبة بترشيد الإنفاق، وترتفع فيه الشكاوى من ازدحام السفارات بمن لا يقومون بواجبهم فى رعاية مصالح المصريين ومتابعة مشاكلهم وشكاواهم، ويحدث أيضا بالتوازى مع دور الأزهر فى إرسال الدعاة إلى أرجاء المعمورة وهو الأمر الذى يثير لدى أسئلة أتمنى أن لا تظل حائرة عن الدور المطلوب من سفاراتنا المصرية، وهل قامت به حتى نضيف إلى أدوارها دورا وإلى أعبائها عبئا، وعن ترتيب الأولويات فى الخارجية المصرية، وهل يدخل نشر العقيدة الدينية ضمن هذه الأولويات، وعن وظيفة الملحق الدبلوماسى الدينى، وهل هى موجودة فى أى سفارة من سفارات العالم، حتى سفارات الفاتيكان وإيران، أم إنها بدعة أملاها علينا توافر الأموال واتساع الحال والاستجابة لمزايدات البعض، وأخيرا فلعلها مساهمة متواضعة من وزارة الخارجية فى حل أزمة البطالة، شفيعها حسن النوايا وسلامة القصد ..

مصرنا بخير

فى أسبوع واحد، علمنا شعب مصر العظيم، أربعة دروس بليغة، تثبت للقارئ أن شعبنا أرقى بكثير مما نظن، وأكثر أصالة مما نتوقع، وأنبل كثيرا مما نتصور، أما الشهامة والوفاء، فحدث ولا حرج.

الدرس الأول :

مساء الجمعة الحزين، حدثت فجيعة الرحلة المدرسية، وما أن شعر سكان منشية البكرى بأن هناك أطفالا مصابين بمستشفى الحى، حتى هرعت طوابير المتطوعين بالدماء، بل إن شئنا الدقة طوابيرالوفاء، لا فرق بين شيخ وفتى، أو رجل وامرأة، فالكل سعيد بالعطاء، آسف إن اعتذروا له بأسباب تتعلق بحالته الصحية، حدث هذا دون دعوة أو نداء، وانهالت المكالمات على المستشفى بالاكتفاء، ويتركون أرقام الهاتف للاتصال بهم فى أى وقت، علهم يشرفون بالمشاركة والفداء، ووسط هذا الموكب النبيل، علمت سيدات المنطقة بمصرع بعض الأطفال، والتقطت آذانهن

* نشر فى جريدة الأهرام

صراخ الأمهات الثكالى، فلبسن السواد وهرعن إلى حيث تصرخ الأمهات، للبكاء معهن، والصراخ من أجلهن، وإذا بالأم الثكلى تجد نفسها فى صدر باكية لم ترها يوما، وإذا بدموعها تذوب فى شلال من دموع المواسيات، وما أروع لحظة الألم العظيم، التى جمعت الكل فى واحد، وأعلنت أننا جميعا أهل وإن افترقنا شيعا، أو اختلفنا أحزابا، أو تفرقنا أديانا، وأننا لا نقل فى العطاء الإنسانى عن ذلك السائق النبيل، الذى انطلق بمركبة النقل العام إلى ساحة الكارثة، وانتقل بالضحايا فى سرعة البرق إلى المستشفى، ملتاعا لصراخهم، باكيا لبكائهم، ياله من بكاء عظيم، ويالها من إنسانية صادقة، ورحمة دافقة، وياله من درس يدفع القلم إلى عجز، والكلمة إلى قصور، والذهن إلى تساؤل: فى أى مكان يا ترى غير مصر، يحدث هذا كله، وأى كلمات يا ترى تقدر على وصف ذلك كله، وأى أوسمة تليق بصدور هؤلاء البسطاء، ممن لم نعرفهم، ولن نعرفهم، وليسوا فى حاجة إلى أن نعرفهم، وهم فى غنى عظيم عن الإشادة بهم، أو الإشارة لما يحملون فى حناياهم من جوهر أصيل.

الدرس الثانى :

يوم الأربعاء أعلن عن فوز مرشح برلمانى بالتزكية فى أحدى دوائر الصعيد والقصة تبدأ يوم توفى الوزير عبدالحميد رضوان، وشعر الجميع بالحسرة على شباب رحل فى العنفوان، وعمر انقضى قبل الأوان، وكإجراء روتينى أعلن عن خلو الدائرة، وفتح الباب لقبول أوراق المرشحين، وهنا تجلت الأصالة ولمع المعدن العظيم، حين تقدم ابن عم الراحل للترشيح، فلم يتقدم أمامه أحد، وأحجم الجميع تعبيرا عن الوفاء، وتراجع الكل عن الترشيح مشاركة فى العزاء، ولم يشذ منهم فرد، ولم يخرج على إجماعهم حزب، وأن ينجح ابن العم فى منافسة فهذا وفاء، أما أن ينجح بالتزكية فقل فى هذا ما شئت، وصفه بما هو جدير به، وتساءل معى عن مكان آخر غير مصر، يحدث فيه هذا العزاء النبيل.

الدرس الثالث :

مساء الخميس، احتفلت نقابة المحامين بتأبين المناضل الوطنى العظيم مصطفى مرعى، وأذكر يوم قرأت خبر وفاته، أننى هرعت إلى عمر مكرم فلم أجد سرادقا للعزاء، واكتشفت السبب فى اليوم التالى حين علمت أنه أوصى أن يدفن بلا عزاء وكان الرجل محقا،

لأن سرادق مصطفى مرعى هو حدود مصر، وعزاء مصطفى مرعى هو عزاء كل المصريين لكل المصريين، وفى النقابة سالت دموع الكبار وهم يتحدثون، وسالت دموع الحاضرين، وهم يستمعون، وقيل فيه من الكلمات ما لم أسمعه فى عظيم من قبل، ولم يكن الرجل حاكما أو مسئولا أو منضما لجماعة أو منتصرا لحزب، لكنه كان منتصرا طوال عمره لقضايا الوطن، وفى يوم الوفاء وفى له الوطن، تأكيدا على أن مصر كانت، وما تزال، وستظل بلد الوفاء الجليل.

الدرس الرابع :

فى نهاية الأسبوع، كان موعد مباراة الأهلى المصرى والهلال السودانى على نهائى البطولة الأفريقية، ويوم فاز الأهلى بالبطولة من قبل، انتظرته الجماهير فى المطار بعد منتصف الليل، واحتشدت الجموع على جانبى الطريق تحيى موكب الفريق البطل، ولم تنم القاهرة، ولم يهدأ صخب أبواق السيارات. غير أن شيئا من هذا لم يحدث رغم فوز الأهلى وإحرازه للبطولة هذه المرة، فقد فرح الجميع، ثم هدأ الجميع، لأنهم أدركوا بحسهم الأصيل أن المهزوم هو أحد أصحاب الدار، وأنه لا فرق بين أن يقبع الكأس فى القاهرة، أو

يلمع فى الخرطوم، وأن مشاعر الأخوة السودانيين تستحق الاحترام والاعتبار والإكبار ..

حدث هذا ببساطة وتلقائية، ودون توجيه، ودون فلسفة أو تحليل أو تعليل ..

وأخيرا، من يصدق أننا تلقينا هذه الدروس كلها من شعبنا العظيم فى أسبوع واحد، ومن يختلف معى إذا رددت ودموعى تجول فى عينى، حقا، حسبنا أننا مصريون.

وانتصرنا فى سيول *

أخيرا حصحص الحق، فقد أعلنت وكالة المخابرات الأمريكية فى ميزانيتها المقدمة إلى الكونجرس، أنها مولت عشرات المؤتمرات الإسلامية فى أرجاء المعمورة فى العام الماضى، ومعنى هذا بوضوح، أننا نرى الإسلام غاية ويراه غيرنا وسيلة، وأننا نراه عقيدة ويراه غيرنا سفينة لأحلام السطوة والسيطرة والنفوذ، وأننا نستهدف رصيد الآخرة، بينما يستهدف منه الآخرون رصيد الدنيا، وأننا نراه قرآنا وسنة، ويراه غيرنا مؤتمرات، ومؤامرات، وتقارير مخابرات..

الآن فقط أستطيع أن أفهم لماذا ينأى البعض بمؤتمره عن القاهرة ويذهب إلى لندن، وعن بغداد ويذهب إلى طوكيو، وعن الرياض ويذهب إلى سيول..

الآن فقط أستطيع أن أفهم كيف تحولت لندن إلى (سنتر) إسلامى، بحيث لو أتى زائر من الفضاء لتصورها قبلة المسلمين، وأستطيع أن أفهم أيضا لماذا يسيطر الإيرانيون على المركز الإسلامى هناك، ولماذا

* نشر فى جريدة الأحرار

تتعالى فى بريطانيا العظمى صيحات الجهاد، وأستطيع أيضا أن أفهم الحكمة العظيمة فى عقد مؤتمر إسلامى كبير فى طوكيو عاصمة اليابان، التى يدين أهلها بالعقيدتين الشنتوية والبوذية، ويندر أن تجد فى أنحائها مسلما واحدا.

الآن فقط أستطيع أن أفهم تلك الغزوة الإيمانية الرائعة، لبعض علمائنا الأفاضل، الذين ذهبوا بكل حسن النية، استجابة لدعوة مباركة كريمة مجانية، لمؤتمر إسلامى كبير فى سيول، أعز الله به الإسلام، وامتلأت شرفاته برجال الإعلام، أو بمعنى أدق بمن يحملون شارات الإعلام، وجلس العلماء الأفاضل فى القاعة الكبيرة المغلقة، يرفعون عقيرتهم بنصرة دين الله، ويوقفون الجلسات لأداء شعائر الصلاة، وينظرون إلى منظمى المؤتمر الكرماء بعيون قلقة، فلا يجدون فى عيونهم إلا ترحابا، والنظرة تتبعها نظرات، القلق تتبعه بسمات، ويصبح الجميع بعون الله أحبابا، وينطلق الأفاضل فوق منابر الخطابة فى ثقة واعتداد، لكى يقدموا أبحاثا عن الحركة الإسلامية فى بلادهم، وكلما وثقوا معلوماتهم، كلما ازداد الوجد فى عيون المنظمين، وكلما غاصوا فى بطون بلادهم، كلما طفر الدمع من

عيون المنظمين، وكلما أمعنوا فى رسم الخطط للحركات الإسلامية فى المستقبل، كلما تحول وجد المنظمين إلى عشق وصبابة، تشى بها العيون، وكلما أعلنوا أن المستقبل لهم، صفق المنظمون ووقفوا أمام مقاعدهم إعجابا وإكبارا، وكلما أوغل البعض فى الحديث عن نجاسة دم البرغرث، وأحكام معاشرة الجان، وكيف تستقر الأرض على ظهر حوت، والحوت على صفاة، والصفاة على ظهر ثور، وكيف عطس الثور فتزلزلت الأرض فكانت الجبال، كلما ارتفع التصفيق والهتاف من صفوف المنظمين، وانطلقوا مهللين مكبرين، وهتفوا رغم أنهم لا يعرفون حرفا من اللغة العربية، الله أكبر الله أكبر، إسلامية إسلامية، وأستطيع أن أفهم أيضا كيف انتهى المؤتمر بمفاجأة هائلة، مثيرة مزلزلة، حين أشهر رئيس المنظمين إسلامه، ونطق بالشهادتين أمام المؤتمر، وكيف أعلن عالم فاضل جليل من فوق المنبر، قوله الشهير الجهير، موجها حديثه للمنظم النحرير، لولم نفعل شيئا إلا هدايتك، ولو لم ننجز شيئا إلا إسلامك، لكفانا هذا فخرا، وإننى أعلن أمام العالم كله أن (شى كاى شانج) قد أصبح اسمه من الآن فصاعدا، (المقداد بن حلزه) وكنيته (شرحبيل)، وبين التصفيق والهتاف، والأشواق والعناق، والدموع والنشيج،

ينتصر الإسلام، ويهدى رئيس المؤتمر إلى المقداد سيفا اسمه (المقدام)، ويسأله أن يغمده فى صدر أعداء الإسلام، وأن يصحبه معه فى قبره ليكون شفيعا له أمام رب الأنام، وتتزلزل القاعة بالهتاف، الله أكبر، إسلامية إسلامية، لا شرقية ولا غربية، ويعود علماؤنا الأفاضل تسبقهم دقات الطبول، تزف البشرى بانتصار الإسلام فى سيول..

أيها الإسلام العظيم، كم من المؤامرات، أقصد المؤتمرات، ترتكب باسمك.

جن لما يركبك

طوال حياتى وأنا أسأل نفسى سؤالا ساذجا لا إجابة له، لماذا تخصص الجن فى ركوب أجساد بنى عدنان وقحطان، ولماذا لا نسمع عن أمريكى أو روسى أو يابانى ركبه عفريت من الجن، وما أكثر ما طمأنت نفسى بإجابة منطقية، وهى أن الجن فى بلادهم من النوع الرومى، الذى يركبه أبناء هذه البلاد، ويسخرونه من أجل التقدم، ويستخدمونه فى المنافسة العلمية الشريفة، وآخر ما قرأته فى هذا الشأن، هو استخدام الأمريكان للجن فى اختراع طائرة مقاتلة، ترصد الهدف على بعد خمسين كيلو مترا، ثم ترسل قنابرها (أقصد قنابلها)، موجهة بأشعة الليزر، فتصيب أهدافها دون خطأ يتجاوز نصف المتر، وتخترق الدروع الخرسانية حتى عمق خمسة أمتار، وتصيب القابعين فى مخبئهم بصرف النظر عن ترديدهم للأناشيد الوطنية، أو نصبهم لحلقات الذكر، أو قراءتهم للأوراد السلطانية، ثم تعود الطائرة من حيث أتت، آمنة مطمئنة، لأنها أدت مهمتها خارج نطاق ملاحقتها

* نشر فى جريدة الأهالى بتاريخ ١٤ / ٦ /١٩٨٩

بالدفاعات الأرضية..

إلى هذا الحد تقدمت هذه البلاد، وإلى هذه الدرجة نعيش فى واد ويعيشون فى واد، فننشغل نحن بالتوجيه المعنوي، والشعارات الوطنية، وتزيين الاستشهاد، وينشغلون هم بنوع آخر من الحروب، يستطيع أن يكسبها المرتزقة، ويديرها (الهيبز) بشرط واحد، هو إجادتهم لعلوم الكمبيوتر وإجادتهم لاستخدام الآلات والمعدات..

تذكرت هذا كله وأنا اقرأ تحقيقا منشورا بالصفحة الثالثة فى جريدة النور - العدد ٣٧٩ - عنوانه العلاج بالقرآن الكريم، ذكرت فيه الجريدة أسماء أربعة من المشايخ، يمارسون العلاج فى عيادات متخصصة، هم الشيخ عبد الخالق العطار بالمنصورة، والشيخان أنسى بدوى وعبد المنعم الديدامونى بالشرقية، والشيخ محمود بيومى بالقاهرة، وأضافت الجريدة والعهدة عليها عبارة (وغيرهم كثيرون)، كما أوجزت نظرية العلاج الجديدة فيما نصه (تنطلق نظرية العلاج بالقرآن من أن أمراض الشلل والأمراض العصبية التى يصاب بها الكثيرون يكون سببها الجن الذى يدخل جسد ابن آدم

فيشله ويصيبه بالوهن)، ولم يفت الجريدة أن تذكر المراجع الطبية المعتمدة وأشهرها (زاد المعاد لابن القيم)، وأضافت على لسان الطبيب الكبير الشيخ أنسى بدوى (أكرمه الله) أن أغلب الحالات المرضية، التى عرضت عليه كان من أهم أسبابها (كثرة الاستماع إلى الموسيقى والغناء ومشاهدة المعاصى على شاشة التليفزيون)..

لا أخفى على القارىء أننى اقتنعت، خاصة وأن الشيخ أنسى قد ساق أسبابا مقنعة، فمن أدرانا بأن أغانى أم كلثوم ليست سببا فى الشلل الرعاش، خاصة مع ما نلاحظه من اهتزاز أجساد البعض عندما تتسلطن الست، ومن أدرانا بأن مسلسل ليالى الحلمية ليس سببا فى التبول اللاإرادى، ولماذا لا نسلط الأضواء على أنسى والديدامونى والبيومى، وننشغل بالأطباء الظهورات أمثال خيرى السمرة وهاشم فؤاد وأحمد شفيق، الذين لا يعرفون الفرق بين الجن البلدى والجن الرومى، ويجهلون تماما أفاعيل الجن الفيومى، ولماذا لا نستعين بهؤلاء الخبراء فى مفاوضاتنا مع صندوق النقد الدولى..

إن الأمر لن يكلفنا أكثر من قرموط سمك، نكتب

على بطنه عملا بالسفلى، وكلما تلعبط القرموط، كلما تلوى مدير الصندوق وتلعبط عاريا فوق مكتبه، مرددا، الحقنى يا شيخ بيومى، الحق لبسنى هدومى.

حقا إن شر البلية ما يضحك، وأكثر ما أضحكنى وأنا اقرأ التحقيق المذكور، هو مطالبته بوجود عيادات (رسمية) للمشايخ سالفى الذكر، وتأكيده على أن فتح هذه العيادات سوف يساعد على القضاء على (المشعوذين الذين يستغلون الناس ويستنزفون أموالهم)، ولعله يقصد عيادات كبار الأطباء والمستشفيات المتخصصة..

لقد أدركت بعد قراءة التحقيق الصحفى أن شعار (الإسلام هو الحل) قد راحت عليه، وأنه أصبح موضة قديمة، وأن الشعار الذى يجب أن نرفعه جميعا ونلتف حوله هو (الديدامونى هو الحل)، وقد أسعدنى وأثلج صدرى أن الجريدة قد نشرت صورا لعيادات الجهابذة المذكورين، وهو ما أهديه إلى مجلس نقابة الأطباء، الذى ينشغل أغلب أعضائه برفع الشعار القديم، وأغلب الظن أنهم لن يتخذوا موقفا حيال هذا التطور العلمى، وهذه الممارسات الطبية، وهؤلاء الأطباء المتخصصين، جعل الله كلامى خفيفا عليهم، وأنجانا على أيديهم، حتى يعم الخير أرجاء الوادى، وتتقافز الصحة والحيوية فى وجوه الناس فى بلادى، دستوركم يا أسيادى..

العمر والصحة لا يسمحان *

نشر الأستاذ مصباح قطب حديثا تليفونيا أجراه معى، ضمن إطار موضوع مثير عنوانه (ضبطناهم يبيعون الشهداء باللوف والصفيح وورق التواليت) ووصف حديثى بأنه (أوضح منافستو لرجال الأعمال الليبراليين فى مصر إزاء قضية التطبيع والوجود الإسرائيلى)، وخصنى مشكورا بمطالبة القراء والخبراء السياسيين أن يردوا على وتعقيبا على ذلك أقول:

أولا: ظلم الأستاذ مصباح حديثى بوضعه فى هذا الإطار وكأنى فيلسوف التطبيع فى مصر، وهو فى هذا يلتقى مع التيار السياسى الدينى دون أن يشعر فى اتهام ظالم لا أساس له، لأننى لم أتعامل بمليم واحد مع إسرائيل ولم يتم أى تعامل معهم من خلال مكتبى لصالح أى عميل، كما أننى اعتذرت حتى الآن عن قبول العديد من الدعوات لزيارة اسرائيل وبعضها من معاهد علمية، وبينما يلتقى ياسر عرفات بالإسرائيليين غير الرسميين ويعلن عن استعداده للقاء الرسميين، يصبح

* نشر فى جريدة الأهالى بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٨٩

لقاء فرج فوده بإسرائيلى أو مصافحته خيانة وجريمة لا تغتفر ومتاجرة بالشهداء.

ثانيا: الحديث عن التجارة بالشهداء هو أبعد ما يكون عنى، فأنا شقيق الملازم محيى الدين فوده، الأصغر منى بعام واحد، والذى استشهد فى حرب أو فضيحة ١٩٦٧ بعد تخرجه من الكلية الحربية بثلاثة أيام (الدفعة ٥٠)، ولا نعلم حتى الآن أين مات أو كيف، وهل دفن أم لا، ولست أنا الذى يتاجر فى دم محيى وزملاء محيى، وإنما يتاجر بدمهم من يدفعهم للحرب دون استعداد أو دون سبب، أو مزايدة على أصحاب القضية أنفسهم أى بلا قضية.

ثالثا: أشك كثيرا فى أن الأستاذ مصباح قد قرأ حديث وزير خارجية الظل البريطانى جيرالدكاوفمان لمجلة التضامن فى عددها الأخير (رقم ٣٠٢ ص ١٥) بعد لقائه بياسر عرفات فى تونس، وقد قرأ فيه نص ما دونه من حديث عرفات وهو بالحرف الواحد (إن الإسرائيليين فى حاجة إلينا فهم يحتاجون إلى العمال الفسطينيين لكى تدور عجلة اقتصادهم وهناك قائمة - طويلة - بما يحتاجون إليه منا وما نحتاجه منهم وهناك

مشكلات نستطيع أن نحلها معا) والحديث مهدى إلى الأستاذ مصباح لكى يضمه إلى مؤامرات التطبيع بين فلسطين وإسرائيل هذه المرة، ولعله يصف حديث عرفات بأنه (أوضح منافستو لرجال الأعمال الليبراليين فى فلسطين) ولعله يطالب القراء والخبراء السياسيين بالرد على عرفات.

رابعا: حديث الأستاذ مصباح عن دولة واحدة علمانية ديموقراطية فى فلسطين، يعيش فيها العرب واليهود فى سلام ووئام، أصبح حديثا ينتمى إلى متاحف التاريخ، بعد أن تخلى عنه أصحابه وهم الطرف الرئيسى فى القضية، وقبلوا بالمنطق الواقعى وهو قيام دولة فلسطينية بجوار دولة إسرائيلية مع تعهد بالسلام وحسن الجوار، ولعن الله تلك العادة، وأقصد بها عادة (الاستمناء الفكرى)، اللعينة، فهى السبب فى كثير من مشاكلنا السياسية، ومعاركنا الفكرية، حيث يمارسها البعض أيديولوچيا فيعيشون فى أوهامهم، وينتعشون بخيالهم، ويرتعشون مع أمنياتهم، ثم يذوبون لذة فى تصوراتهم الخاصة.

خامسا: إن الحقيقة المؤكدة أن هناك تيارا إسرائيليا شعبيا يدعو إلى السلام، وأن المظاهرة

الشعبية الوحيدة التى خرجت بمئات الآلاف تندد بأحداث صبرا وشاتيلا قد خرجت فى اسرائيل،ولم تخرج من عاصمة دولة عربية واحدة، ولست أدرى كيف يمكن دفع هذه القوى وتشجيعها ومناصرتها دون الالتقاء بها والتحاور معها وهو ما فعلته منظمة التحرير أخيرا واكتشفه مبكرا، ولم يكتشفه الملكيون أكثر من الملك فى بلادنا بعد.

سادسا: أفهم أن نتعاون معا فى صد هجمة الردة الحضارية، وأفهم أن نوسع من نقاط الاتفاق وأن نضيق من مساحة الاختلاف فهذا ما تعلمناه من أبجديات السياسة، وإذا كانت نقاط الاتفاق بيننا واسعة ومنها العلمانية، والوحدة الوطنية على أساس الانتماء للوطن، والليبرالية السياسية كهدف مرحلى لكم ونهائى لى، فإنه من غير الحكمة أن نتبادل التراشق بالنيران فيما نختلف حوله فى قضية السلام أو الاقتصاد، وأنا شخصيا لا أفهم إطلاقا أن تفتح الأهالى صفحاتها للخلاف معى وللرد على قضية يسعى أصحابها (الأصوليون) للسلام والوئام (وأحلى كلام) بينما البيت يحترق من الداخل، وبمعنى أكثر دقة، فأنا لا أفهم إطلاقا أن أكون مطالبا بالرد على الاعتصام والنور والمختار

الإسلامى واللواء الإسلامى والحقيقة، ثم استدير فى نفس الوقت لصد سهام الأهالى، لأن الرد على الصحف الأولى بالنسبة لى ممتع لأن عداءها مبرر، بينما الرد على الأهالى بالنسبة لى علقم، لأننى لا أفهم - تكتيكيا- دوافع الاختلاف، وإذا فهمتها لا أبررها، وإذا حاولت تبريرها ضربت كفا بكف، وإذا كنا نأخذ على الحكومة اعتناقها لمبدأ من ليس معى بالكامل فهو ضدى، فكيف يكون الموقف من اليسار عندما يفعل نفس الشئ ..

وأخيرا يا أستاذ مصباح، أرجو أن تهون عليك فالسلام قادم لا محالة، لأنه إرادة أغلب الفلسطينين وأغلب الاسرائيليين وأغلب المصريين، وهو إرادة القوتين الأعظم أيضا، على الرغم من اعتراض التيارات السياسية الإسلامية فى مصر، واليهودية فى اسرائيل، وبعض الناصريين فى مصر، وكتلة الليكود فى إسرائيل، وكان بودى أيها العزيز أن أتفق معك فى رأيك حتى أتجنب لواذع قلمك الرشيق لولا أننى لا أستطيع أن أخون عقلى ومنطقى، كما أن العمر والصحة لا يسمحان لى بتلك الممارسات، فقد تجاوزت الأربعين، وهى سن تسمح لى باستخدام عقلى أكثر من استعمال يدى.

أصول المسائل *

أى مفارقات تحدث فى عالمنا اليوم..؟

إضرابات العمال فى الاتحاد السوفيتى تواجه بالحوار والاستجابة للمطالب العادلة وإضرابات العمال فى مصر التى تتغنى بالديمقراطية والليبرالية تواجه بالقمع والفض العنيف والتحويل إلى النيابة..

نقابة التضامن فى بولندا تشكل أول حكومة ائتلافية لا يرأسها عضو بالحزب الشيوعى بينما الحزب الوطنى فى مصر واهم أنه سيخلد أبد الدهر، وطامع فى جميع مقاعد المستقلين فى مجلس الشعب وجميع مقاعد مجلس الشورى، ويخوض معركة ضروسا تذكرنا بحرب البسوس على مقعد المرحوم مصطفى شردى فى بورسعيد ..

العالم كله غربه وشرقه يتجه إلى عصر جديد يمكن تسميته بحق عصر حقوق الإنسان بينما نحن نتراجع خطوتين كلما تقدمنا خطوة ..

* نشر فى جريدة الأهالى بتاريخ ٦ سبتمبر ١٩٨٩

من الذى يدفع بالنظام إلى هذا المأزق؟

من يا ترى يعز عليه أن يحرز النظام نجاحا لاشك فيه على المستوى العربى والإفريقى والدولى. فيحاول أن يشوه هذا كله بالاعتقالات والتعذيب فتكون النتيجة سيلا من احتجاجات منظمات حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية وجماعات الرأى والأحزاب السياسية فى انحاء المعمورة...

هل هى سياسة (التوازن الأمنى) التى جرت عليها وزارة الداخلية ربما تأثرا بشعار عدم الانحياز فإذا قبضت على تنظيم شيعى وجب عليها أن تقبض على تنظيم شيوعى، وإذا كان عدد أفراد التنظيم الأول اثنين وخمسين فلابد أن يكون عدد التنظيم الأخر ثلاثة وخمسين بزيادة فرد يزعم الخبثاء أنه عميل للمباحث.

إننى لن أتوقف كثيرا أمام التعذيب. رغم أنه يعذبنى شخصيا لثقتى أن الكثيرين سوف يكتبون عنه ويرفضونه ويسخطون عليه، وسوف أتجاوز هذا كله إلى ما أسميه أصول المسائل وهى الأصول التى يجب أن يتوقف أمامها المثقفون وأصحاب الرأى ويتخذون بشأنها موقفا ..

إلى متى يصبح إصدار المنشورات جريمة؟

كيف يمكن أن نتحدث عن الديموقراطية وحرية الرأى ونحن نحجر على أصحاب الرأى أن يصدروا رأيا مطبوعا ويوزعوه على أفراد شعبهم.. أتذكر فى هذا المجال حوارا دار بينى وبين المرحوم عبد العزيز الشوربجى وأتذكر كلماته لى عن حادثة مماثلة!

تصور يا فرج التهمة الموجهة إليهم هى اصدار منشور، معنى هذا أن نشر الرأى، مجرد الرأى جريمة ثم يتحدثون عن حرية الرأى..

ساعتها فوجئت لأننى جريا على العادة. كنت أقرأ عبارة (ضبط منشورات) فأتصور أن فى الأمر جريمة لكنى عندما تأملت كلماته أصبحت أتعجب مثلما تعجب وأضرب كفا بكف مثلما كان يفعل وأدعو كل صاحب رأى أن يفعل مثلما فعل وأفعل ..

إلى متى يصبح ضبط تنظيم سياسى جريمة؟

أفهم أن يضبط من يتسلحون بالقنابل والمسدسات ومن يستهدفون قلب النظام بالقوة. لأنهم ساعتها يدخلون ساحة الصراع العنيف ويدفعون ثمنا

لابد وأن يتوقعوه من البداية، لكنى لا أفهم اطلاقا أن يقبضوا على أفراد تهمتهم الوحيدة أنهم يتحدثون فى السياسة ويجتمعون معا لاتفاقهم فى الرأى، أيا كان الرأى وأيا كان الهدف السياسى..إلى متى يظل حق الإضراب وحق التظاهر جرائم؟

أذكر أننى فى زيارة لى للولايات المتحدة الأمريكية كنت أعجب لقوة الرأى العام وسطوته، ولإيمان الأفراد بالديمقراطية والحرية، وكان مبعث عجبى أن الأحزاب هناك مختلفة عن الأحزاب فى أنحاء المعمورة وهى عادة ليس لها وجود إلا وقت الانتخابات، كما أن أكبر حزبين يتداخلان فى سياساتهما فيمين الحزب الديمقراطى أكثر يمينيه من يسار الحزب الجمهورى والعكس صحيح، وسرعان ما اكتشفت سرا إيمان الشعب بالديمقراطية والحرية، وهو سر موجز فى هذين الحقين، حق الاضراب وحق التظاهر، لأنهما الحقان اللذان يمارسهما كل فرد ويمسان حياة ومستقبل كل فرد، ويرتبطان بظروفه العملية والشخصية ومن خلالهما يترسخ لديه الإيمان بالديمقراطية وحرية الرأى.

إلى متى يحتاج تكوين حزب سياسى إلى موافقة الحزب الحاكم؟ وإلى متى يحتاج إصدار صحيفة أو مجلة

إلى موافقة النظام ومباركة وزارة الداخلية؟

أقول لكم إلى متى . .

إلى أن يجتمع المثقفون والأحرار وأصحاب الرأى من كل اتجاه لكى يستنكروا هذا كله، ويحتجوا على هذا كله، ويتخذوا موقفا من هذا كله.. إننا نعيش مرحلة السماح الديمقراطى، الذى لن يتحول أبدا إلى: مناخ ديمقراطى إلا بإرادة الأحرار..

إننا نعيش مرحلة حرية التعبير فى حدود يرسمها صاحب السلطة والقرار ولن ننتقل أبدا إلى حرية التعبير الكاملة، وبعدها إلى ما هو أهم وهو حرية التغيير إلا من خلال موقف معلن وواضح وموحد ..

لتكن إرادة الأحرار هى الأقوى وراية الحرية هى الأعلى ولندع خلافاتنا جانبا ولنتضامن من أجل وطن أرقى، وحياة سياسية أنقى، ومستقبل أبقى، ولنتكاتف من أجل جبهة شعبية وطنية ذات هدف واحد وشعار وحيد هو :

حرية للفكر وللعقيدة بلا حدود

وضمانات للحرية بغير قيود..

إنهم يركبون الزلكة *

إنهم بعض فقهائنا الأفاضل. الذين يركبون المرسيدس (الزلكة)، ويسكن بعضهم فى ڤيلات فاخرة فى الهرم ومدينة نصر ومصر الجديدة ويسبحون الله فى الليل، ويلعنون المفتى فى الصباح، ويغازلون الجماعات الإسلامية فى أوقات القيلولة، ويودعون مئات الألوف فى شركات توظيف الأموال، ويقبضون بالدولار المبارك مقابل أعمالهم الاستشارية فى البنوك الإسلامية. وأحدهم وكان مفتيا سابقا وصل مرتبه إلى سبعة آلاف دولار شهريا، أى حوالى ثمانية عشر ألف جنيه مصرى بالتمام والكمال، وقد يظن القارئ أنهم يعملون مقابل هذه المبالغ أناء الليل وأطراف النهار، والحقيقة أن ذلك افتئات عليهم لأنه لو صح لما بقى لديهم وقت لقراءة القرآن وذكر الرحمن وقيام الليل، وصلاة الفجر.

والحق أن البنوك الإسلامية قد راعت ذلك كله، فقصرت استشاراتها على حوار يتيم، يغنى عن سؤال

* نشر فى جريدة الأهالى بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٨٩

أى علمانى لئيم، وهو حوار يحدث فى نهاية السنة المالية، ويبدأ بسؤال فضيلته عن رأية فى الميزانية، فيأتى الرد المبارك، يكفيكم حسن النية، وطهارة الطوية، فيعود السؤال، وما رأيك فى حركة الأموال، فيرد الشيخ الجليل كلها حلال، فيسألونه: وأرباح البنك السنوية، فيرد الشيخ: كلها من المضاربة الشرعية، وكلها حلال (مية فى المية)، والحمد لله على أنه لا توجد أية خسارة، فيردون عليه: كله بفضل الاستخارة، ولسنا ندرى كيف كنا سنحكم على جدوى المشروعات دون استخارتكم، ولماذا لا تفتحون مكتبا استخاريا يطرد المكاتب الاستشارية العلمانية من السوق، فيبتسم الشيخ الجليل فى زهد وورع، فيغمزونه فى دلع، هيا أعطنا البركة يا مولانا، والبركة هنا اصطلاح متداول مضمونه أن يخرج الشيخ قلمه الذهبى، ويوقع الميزانية فتصبح حلالا بلالا، ولا ينسى وهو يوقع أن يلمح بطرف عينه نسبة الخمسة فى المائة، وهى النسبة التى تحصل عليها هيئة الرقابة الشرعية، وهى نسبة ثقيلة العيار، تحتوى عادة على ما لا يقل عن خمسة أصفار، تضاف إلى المرتبات الشهرية بالدولار، ولا مانع لدى بعض البنوك من رحلة (بلهنية)، يزور فيها الشيخ فرع البنك فى

الجزر البهامية، حيث لا ضرائب ولا يحزنون، فالضرائب تكون فى البلاد الفقيرة مثل مصر، ويحزنون أيضا مفهوم خاص بالبلاد الفقيرة مثل مصر، ومصر أم الدنيا كما يقولون، ففيها يقبل الناس يدى الشيخ، وفيها يركب الشيخ الزلكة، ويحمد الله على ما رزقه من بهيمة الأنعام. والسيارة لا ينطبق عليها هذا الوصف بالطبع، لكن الشيخ لا يقصد السيارة، وإنما يقصد الزلكة، وفيها يحاضر الشيخ جمهوره عن الزهد وهجر الدنيا وعن مآثر أبى ذر الغفارى، وعن على ابن أبى طالب وأهل بيته، وكيف كانوا يبيتون على الطوى، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وفيها يتوعد الشيخ الأغنياء، ويصفهم بالغباء، ويقسم أن دخولهم الجنة أصعب من دخول الجمل فى سم الخياط، ويبكى الفقراء بل وينشجون، بينما صوت الشيخ يعلو: يا دنيا غُرِّى غيرى، ويتخيلون أغنياء الانفتاح فى جهنم، مشغولين بإعداد المشروبات (الساخنة) لهم، بينما هم جالسون فى الجنة. يستمتعون بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

إن كاتب هذه السطور لا يحسد ولا يحقد، لكن

لعابه يسيل رغماً عنه وهو يتخيل مارزقهم الله به خاصة بهيمة الأنعام، وعيناه تتسعان فى دهشة، رغما عنه أيضا وهو يقرأ فى الصفحة الأولى لجريدة الأخبار، أن شيخا فاضلا شهيرا قد تبرع لمجمع دينى بمليون جنيه، مرة واحدة هكذا مليون جنيه، وأنه قد تعرض مرة للسرقة، وكانت حصيلتها أموالا سائلة ومجوهرات ذهبية قدرت قيمتها بمائة وخمسين ألف جنيه(١)، وقد تذكر كاتب هذه السطور وقتها وعد الله لمن يكنزون الذهب والفضة لكنه استنكر أن يمر خاطر مثل هذا فى ذهنه وأرجع الأمر إلى الأخطاء المطبعية، وهى ظاهرة انتشرت فى الصحف فى الفترة الأخيرة وأساءت إلى سمعة فقهائنا الأجلاء، فعهدنا برجال الدين أنهم أهل زهد وترفع عن مغريات الحياة.

يبقى لدينا سؤال نوجهه إلى شيوخنا الأفاضل، عن حكم الدين فيمن يعظ المسلمين، ويؤم المصلين، ويركب الزلكة، بينما غالبية من يصلون وراءه يحلمون بزلكة حقيقية، يطبخون عليها طبقا من الحساء اللذيذ، يطفو على سطحه البهريز ..

بالذمة مش حاجة تغيز ..

أقصد تغيظ ..

(١) فضيلة الشيخ الشعراوى

الشباب والتطرف *

(حين شرفتنى "المنار" بطلب الكتابة لها، سعدت كثيرا وترددت قليلا، أما السعادة فترجع إلى ما أحمله لمصدريها من احترام وتقدير، وأما التردد فلأنى لا أرى فى الكتابة حرفة، وإنما أراها وسيلة للتعبير عما أراه حقا، دون التفات لمشاعر القراء بل لعلى تعمدت أن أفزعهم بالحقيقة، وأواجههم بها دون تورية أو تزييف. وأنشر ذلك فى كتبى فأتلقى مدحا كثيرا وقدحا أكثر، وأسعد فى كل الأحوال بما أعتبره واجبا على، ولست على استعداد لتغيير أسلوبى فى هذا المقال، فقد تعودت على القدح، ووطنت نفسى على تلقى الأحجار، لذا لزم التنويه ... دون اعتذار). ف. ف

ليس فى العنوان ما يثير، وليس فيه تناقض يدعو إلى الدهشة، أو غرابة تدفع إلى قراءة المقال، فالشباب والتطرف صنوان، ذلك إذا فهمنا التطرف بمعناه الدارج، وهو (الاندفاع)، بيد أن التطرف فى السنوات الأخيرة قد أصبح مرادفا لمعان أخرى، لعلها لم ترد فى أذهاننا، أو قل غير مبالغ أنها لم ترد فى

* نشر فى مجلة المنار - تصدر فى باريس - ١٩٧٨

أحلامنا ذات يوم.

الدين والسياسة :

أن يعلن أحد الشباب عن اعتناقه للفكر السياسى الإسلامى؛ فهذا رأى فى تقدير البعض، واندفاع فى تقديرى، لأننى أرى أن الدين أعز من أن يقحم فى السياسة، وأنزه من أن يلوث بمغامرات الساسة، وأبعد ما يكون عن تمثيله لنظرية سياسية متكاملة، لأن ساحته مختلفة، وهى ساحة أرقى وأبقى، ولأن أصحاب هذه الدعاوى لم يقدموا لنا دليلا أو برنامجا متكاملا يرضى أذهان البسطاء من أمثالى على الأقل، بيد أن هذا مجال حديث آخر، ويكفينا الآن أن يتراوح حكمنا على الشباب بين الرأى والاندفاع، وأن نراقب هذا الشاب وهو يتجاوز الإيمان بما يقول، إلى نعت المخالفين له بالكفر والجاهلية، الأمر الذى قد يدفع من وصفوا موقفه الأول بالرأى إلى وصف موقفه الجديد بالاندفاع، بينما يدفعنى هذا الموقف إلى وصفه بالتطرف، وإلى مراقبته وهو يتطور أو يتطرف فيمتشق سلاحا، ربما كان سيفا إذا كانت أصوليته نقية أو مدفعا رشاشا إذا أخضع أصوليته لواءمات العصر، وها هو يحل دم المختلفين معه، طاعنا إياهم بالسيف، أو مطلقا عليهم الرصاص،

دافعا من وصفوا موقفه السابق بالاندفاع إلى وصف موقفه الجديد بالتطرف، ودافعا لى إلى وصف موقفه الجديد بالإرهاب لا أكثر ولا أقل ..

جذور التطرف فى نفوس الشباب :

لا بأس أن نختلف حول تقييم هذه المواقف، فالتطرف مدخل إلى الإرهاب والإرهاب تعبير عن التطرف، وكلاهما اندفاع، وكلاهما شر بلا شك، إثم بلا ريبة.

من أين يبدأ مثلث الفزع السابق (الاندفاع - التطرف - الإرهاب)؟ لاشك عندى فى أن نقطة البدء كامنة فى مناهجنا التعليمية التى يتلقاها النشء، وأننا بالتالى أصحاب الفضل (إن سمى ذلك فضلا) فى غرس جذور التطرف فى نفوسهم. وأمامى نموذج حى على ذلك، ساقته الأقدار إلى حين تعثر أحد أبنائى فى امتحان أحد الشهور في اللغة العربية، فتناولت الكتاب قاصدا مساعدته (وهو كتاب القراءة والمحفوظات المقرر على الصف الخامس الابتدائى) وبدأت بالدرس الأول وعنوانه (نشيد النصر) وكان نص ما ورد تحت هذا العنوان ما يلى (من واجب مصر

أن تشكر الله، وتعرف فضله عليها، لقد نصرها فى حرب رمضان وكان النصر عظيما، وقد جاء هذا النصر ثمرة الإيمان الصحيح، والعزم القوى، والصبر، مع العمل المتصل ..

لقد عبر جنودنا وانتصروا وتغلبوا على كل صعب ودخلوا سيناء وكان النداء الذى يتردد الله أكبر، الله أكبر، وقد قضى هذا العبور على خط بارليف، وقضى على ما أذاعه من الكذب عن قوته، فمن حق مصر أن تردد دائما: الله أكبر، الله أكبر)، وواضح أن الحديث هنا عن حرب عام ١٩٧٣ وبالتحديد عن عبور القوات المصرية لقناة السويس وتدميرها لخط بارليف، وهو انتصار مجيد بلاشك، بيد أن الدرس المشار إليه يرجعه إلى أربعة أسباب، تم ترتيبها وفقا لأهميتها على النحو التالى:

(١) الإيمان الصحيح.

(٢) العزم القوى.

(٣) الصبر.

(٤) العمل المتصل.

وينتهى الدرس باستخلاص النتيجة أو الدرس المستفاد من المعركة، وهو ترديد مصر دائما: الله أكبر، الله أكبر..

منهج مرفوض:

وواضح من الترتيب أن العامل الأساسى والحيوى والجوهرى فى النصر، قد احتل المرتبة الأخيرة عن عمد، وأنه ذكر وكأنه كتب سهوا، وبديهى أن ترتيب أسباب النصر بهذه الصورة سوف يدعو المدرس والطالب إلى إغلاق أذهانهم وحجبها عن التفكير، الذى سوف يقودهم إلى أسئلة تعنى إجاباتها رفض الدرس بما يحتويه..

إن الطالب سوف يعجز عن تفسير ثغرة الدفرسوار، لأن حدوثها يعنى أن المصريين قد فقدوا إيمانهم الصحيح لفترة، أو انهارت عزائمهم أو تخلوا عن فضيلة الصبر، وسوف يعجز أيضا عن تفسير هزيمة ١٩٦٧ إلا بتفسير واحد، هو كفر أبائه الصريح، وربما تمادى فتصور الأمر من جانبه الآخر على أنه نصر إلهى لليهود، ورضا منه على فعالهم، ولعل البعض الآن

قد تحفز للرد على متصورا أننى أحاول الالتفاف بمهارة للتوصل إلى نتيجة مؤداها رفض الإيمان أو استنكار الاستعانة بالله، وأنا أستغفر الله لمن يشطح به الخيال إلى هذا الظن، لأننى اعتقد أن ما ورد فى الدرس السابق يمثل منهجا يأباه الإسلام كل الإباء، بل إنه يطرح فى الحقيقة منهجا عكسيا له على خط مستقيم، والتاريخ ملئ بالنماذج الدالة على ذلك، وما لنا نذهب بعيدا وأمامنا درس غزوة أحد.

درس التاريخ:

كان يسيرا على الله أن ينتصر المسلمون فى أحد، وكان الإسلام أحوج ما يكون إلى هذا النصر، وما كان للمشركين أن يحتجوا فى أحد بما احتجوا به فى بدر من مباغتة المسلمين لهم، ولو ثنى المسلمون على نصر بدر بنصر أحد لانتهى أمر الشرك أو كاد، وعلى مستوى العقيدة والإيمان كانت الظروف ممهدة لانتصار لاشك فيه، فالمسلمون المحاربون هم السابقون الأولون، وأولئك هم المقربون، وقائد الجيش هو النبى العظيم، أى أنه خير قادة التاريخ، ولم يكن المسلمون فى حاجة إلى صيحة الله أكبر، لأنها كانت محور حياتهم، بل هى دعواهم التى نفروا خفافا وثقالا للدفاع عنها، ونضيف

إلى ذلك كله ما هو ثابت بالنص القرآنى من مساندة الملائكة للمسلمين فى أحد، (١) ورغم ذلك كله (جيش الصحابة وقيادة النبى، وصدق الإسلام ومساندة الملائكة) انهزم المسلمون وانتصر المشركون، وكانت هزيمة أحد أثقل الهزائم، وفسر لنا القرآن وكتب السيرة سبب الهزيمة وهو ترك المسلمين لمواقعهم سعيا وراء الغنائم، أى بتعبير العصر نتيجة لخطأ فنى.. هذا الموكب الإيمانى كله، يلقى هزيمته فى أحرج الظروف بسبب خطأ فنى أجاد المشركون استغلاله..

أى دلالة أوضح من هذه الدلالة على منهج الإسلام؟ الاستعداد الجيد للحرب إذن هو الأساس والتدريب الجيد على مواجهة المواقف الممكنة هو الفيصل، واتخاذ القرارات المناسبة، وفقا لسير العمليات هو المنهج، وإذا اختل هذا فلا يشفع للجيش أن يكون قائده أعظم الخلق، أو أن يكون جنده خيار الصحابة، أو أن يكون سنده ملائكة الرحمن، أو أن تكون صيحته الله أكبر أو لا إله إلا الله...

ألا يدرك كاتبو الدرس الآن، أنهم يعكسون القصد ويقلبون الحقائق وأكثر من ذلك أنهم يمهدون الأرض

---

(١) فى سورة آل عمران

للتطرف..

الإيمان بالعقل مرشدا للعمل :

نعم ... فسوف يستقر فى ذهن النشء أن مدخلهم للحاق بالحضارة ومواجهة تحديات العصر، يبدأ بالنصيحة، وينتهى بالبركة، أما العلم والعمل والتدريب فتأتى جميعا فى النهاية، أو لا تأتى فلا ضرر ولا ضرار..

نعم .. فسوف يتدرب النشء على إلغاء العقل، وعلى استبعاد التساؤلات وعلى تجاهل المنطق، وعلى قبول الرأى، أى رأى، بالتسليم وليس بالتمحيص وسوف يتبع البعض فى المستقبل رأيا شاذا لمجرد أنه مكتوب فى تراث ابن تيمية، أو منطوق على لسان أحد أمراء الجماعات الإسلامية..

فكرة خاطئة عن الدين :

ويبقى ما هو أخطر، وهو ما تيقنت منه وأنا أسأل ابنى عن تصوره ومعلوماته عن الإسلام من خلال ما تلقنه من دروس الدين فى المدرسة، فإذا بثلاثة أرباع حديثه، إن لم يكن أكثر، منحصرا فى غزوات الرسول، بدر وأحد والخندق وخيبر، وإذا بالدين الإسلامى وقد

تحول فى ذهن الفتى بقدرة مناهج التدريس إلى دين حرب، وإذا بهم يلقنون النشء مفهوما حربيا عن الإسلام، ما أسهل استلهامه فيما بعد، حين يمتشق الفرد منهم سلاحا، ويستحل دم المخالفين له، ويتبنى الجهاد المسلح ضد مواطنيه، ويرى فى ذلك ركنا من أركان العقيدة.

والغريب أن هذا المنهج (المنهج الحربى)، قد شاع مؤخرا لدى الكبار أيضا، حتى وجدنا من يتنادون بتدريس فنون الكر والفر فى الغزوات فى الكليات العسكرية، وحيث تقدم البحوث فى كليه أركان الحرب عن عبقرية الفن العسكرى فى غزوة كذا أو غزوة كذا، وقد يندهل الكثيرون حين يعلمون أن مجموع قتلى المسلمين والمشركين (ونكرر: مجموع) فى جميع الغزوات التى تمت فى عهد الرسول (ونكرر: جميع الغزوات) من واقع سيرة ابن هشام يبلغ ٢٥١ قتيلا (مائتان وواحد وخمسون قتيلا فقط) منهم ١٣٩ شهيدا (بنسبة ٥٥٪) يمثلون شهداء المسلمين، و١١٢ قتيلا (بنسبة ٤٥٪) يمثلون قتلى المشركين، وواضح أن إجمالى عدد القتلى يقل عن ضحايا سقوط طائرة واحدة فى أيامنا هذه، وتفصيل شهداء المسلمين (بدر ١٤، أحد ٧٠، الخندق ٦، بنو المصطلق - ،خيبر ١٩، مؤته ١٤،

حنين ٤، الطائف ١٢، تبوك -) بينما تفصيل قتلى المشركين (بدر ٧٠، أحد ٢٢، الخندق ٣، بنو المصطلق ٣، خيبر - مؤته ١٤، حنين -، الطائف-، تبوك-) وواضح أيضا أنه لم تكن هناك حرب ولا ضحايا فى تبوك.

وواضح أيضا أن المسلمين قد انتصروا فى غزوتين (بدر وبنو المصطلق)، وانهزموا فى غزوتين (أحد ومؤتة) وأفشلوا حصارا (الخندق)، ونجحوا فى حصار (خيبر) وفشلوا فى حصارين (حنين والطائف) وأن الغزوات قد بدأت بانتصار فى بدر وانتهت بهزيمة فى مؤتة، وأن عظمة الرسول لم تكن فى انتصاراته المستمرة، فهذا لم يحدث، وإنما تمثلت فى تحويله لسجل اختلطت فيه الانتصارات بالهزائم حتى كادا يتعادلان إلى انتصار نهائى، وتاريخى، ومستمر، وهو ما لا أعتقد أنه قد حدث على مدى التاريخ.

غياب النظرة الشاملة إلى الإسلام:

ودلالة ما اضطررنا إلى سرده فيما سبق، أن مفهوم الإسلام الحقيقى قد غاب عن الأذهان، فكان ما كان، فهو فى أذهان البعض دين حرب، وهو فى خيال البعض موسوعة طب، وهو فى عقول البعض منهج اقتصاد، وآخر ما يفكر فيه الجميع أنه عقيدة وعبادة،

وقيم ومثل، وتعامل بالمعروف، وموعظة بالحسنى وفيض إحسان، وسبيل إيمان، وأن الرسول قد تمثل فى أذهان البعض وكأنه فارس حرب، أو عالم طب، دون التفات إلى أن عظمته الحقيقة كامنة فى إنسانيته، وأنه مبلغ أمين لرسالة عظيمة، ويا حسرة على ولدى الصغير وعلى جيله كله، ذلك الذى يقارن فى خياله بين الرسول وبين نابليون، ولا يعرف من الإسلام إلا سيفا مشهورا، وكفنا منشورا، وقبرا محفورا، ويا أسفا على من مهدوا للتطرف بإخفاء الحقائق، وأوقروا فى النفوس أن دين السلام سبيل حرب، وأن جيوش المسلمين سيوف بلا قلب، وربما بلا عقل أيضا.

تنويعات على أنغام شاذة:

لا بأس هنا أن نقطع رتابة السرد بحوار نجريه مع القارئ سائلين إياه عن رأيه فيما سنقصه عليه من أحداث حقيقية حدثت فى مصر فى العام الأخير وكلها موثقة بالأسانيد والمصادر، وليس لها علاقة بخيال أو احتمال، وجميعها تختلط فيها المأساة بالملهاة، ويربط بينها جميعا خيط رفيع، يمكن تسميته بالجنوح، أو الجموح، لكن أصدق وصف لها، أنها تنويعات على أنغام شاذة، ولعلنا نستأذن القارئ فى استعارة أسلوب كتّاب

السيناريو فى الأفلام السينمائية فلربما كان أصدق فى التصوير، وأدق فى التعبير..

(١)

كلاكيت ..

(بعض شباب الجامعات الإسلامية فى جامعة أسيوط يرفضون الذهاب إلى الجامعة فى سيارة أو على دراجة ويفضلون تأكيدا للأصولية أن يذهبوا ممتطين«دابة».. حجتهم فى ذلك أن السيارة والدراجة ينطبق عليها وصف "لتركبوها" أما الدابة فينطبق عليها وصف "لتركبوها وزينة" وتزداد جرعة الأصولية لدى البعض فيفضل امتطاء "الناقة").

المشهد:

أمير إحدى الجماعات، يرتدى جلبابا أبيض قصيرا، ويمتطى ناقة تتهادى به بينما الكاميرا تتابعه ... تقترب الكاميرا من وجهه فتظهر لحيته السوداء الكثيفة وبقايا من شاربه الحليق، وتبدو عيناه مكحلتين بكحل الأثمد، تمر الناقة وتقترب الكاميرا من ظهره فتظهر الذؤابة المتدلية من عمامته، وشعر رأسه المنسدل على كتفيه، ومن بعيد يظهر مبنى حديث،

تقترب الكاميرا من لافتة على باب المبنى مكتوب عليها (كلية الطب). ستوب ...

(٢)

كلاكيت ...

المشهد الأول: محطة السكة الحديد، تقترب الكاميرا من لافتة المحطة يظهر اسم المحطة بعرض الشاشة (المنيا)..

المشهد الثانى: شاب من الملتحين يرتدى جلبابا أبيض أمامه صحيفة يومية ملقاة على الأرض تقترب الكاميرا من يده وهو يشير إلى الصحيفة حيث يظهر العنوان الرئيسى بعرض الشاشة (ألف مليون جنيه للإنفاق على المجارى)، تعود الكاميرا إلى وجه الشاب وتقترب منه فتظهر على وجهه ملامح الضيق والاشمئزاز...

المشهد الثالث: جماعة من الملتحين بثيابهم البيضاء يسيرون صوب الصحراء فى تثاقل وبخطوات شديدة البطء وأيديهم متشابكة تقترب الكاميرا من ظهورهم التى تبدو منحنية ومن بعيد تظهر الشمس

وهى فى سبيلها للغروب...

صوت المذيع ينطلق: ها هم يذهبون لقضاء حاجتهم فى الخلاء مصداقا لبيانهم الشهير (سلوك الجهلاء وآداب قضاء الحاجة فى الخلاء) ما أروع القصد، وما أرشد السبيل...

المشهد الرابع: إضاءة قوية نفس المجموعة تعود وهى مسرعة الخطو وأفرادها يتقافزون فى خفة وسعادة، تقترب الكاميرا من وجوههم فتبدو عليها مشاعر الراحة والصحة وملامح الغبطة والابتسام يربت كل منهم على كتف زميله فى سرور وحبور مرددا ... شُفيتم ... شُفيتم ... ستوب ..

(٢)

كلاكيت ...

(أعلن بعض مدرسى الألعاب الرياضية فى محافظة سوهاج رفضهم لتحية العلم فى الصباح ولترديد هتاف (تحيا جمهورية مصر العربية) واستبدلوه بهتافات دينية، وفى إحدى المدارس طرد بعض المدرسين المتطرفين مدرس الموسيقى واضطرت مديرية التعليم

لتعيينه فى وظيفة إدارية بالمنطقة).

المشهد الأول: طابور الصباح فى إحدى المدارس الابتدائية يقف الطلاب على هيئة ثلاثة أضلاع مربع، عشرة مدرسين يقفون فى الضلع الرابع يتوسطهم مدير المدرسة وجميعهم بالملابس الإفرنجية .. فى منتصف الساحة يرتفع علم مصر خفاقا مرفرفا، وبجواره مدرس التربية الرياضية مرتديا ملابس تدريب رياضية، يهتف ويردد الطلبة وراءه .... تحيا جمهورية مصر العربية .... تحيا جمهورية مصر العربية .... تحيا جمهورية مصر العربية...

المشهد الثانى : خريطة بحدود مصر مكتوب عليها جمهورية مصر العربية ... تشتعل النار فى أحد أطرافها ثم تمتد لتلتهم الخريطة بأكملها ...

المشهد الثالث : لوحة مكتوب عليها بخط جميل (حدود الوطن لدى المسلم محدودة بالعقيدة وحيث يوجد المسلم يكون الوطن، أما الوطنية فهى إرث الاستعمار ... أبو الأعلى المودودى).

المشهد الرابع : نفس المشهد الأول عدا اختفاء العلم وارتداء مدرس التربية الرياضية جلبابا أبيض

قصيرا، تحته سروال طويل من نفس اللون ترتفع يده اليمنى ممسكة بالمصحف ويهتف ويردد وراءه الطلبة .. القرآن دستورنا .. الرسول زعيمنا .. الموت فى سبيل الله أحلى أمانينا ... الله أكبر ... الله أكبر ... الله أكبر ولله الحمد .. ستوب.

(٤)

كلاكيت ...

المشهد الأول: لوحة بعرض الشاشة: العرض القادم - وغدا تتحطم الأصنام ..

المشهد الثان: تمثال رمسيس. تقترب الكاميرا من وجهه ببطء.

صوت : وغدا تتحطم الأصنام

المشهد الثالث : تمثال سعد زغلول. تقترب الكاميرا من وجهه ببطء ..

صوت : وغدا تتحطم الأصنام.

المشهد الرابع : لوحة بعرض الشاشة: النهاية ... ستوب ..

البحث عن سبيل للحوار:

ونتساءل معا: تحت أى بند من البنود يمكن أن نصنف الأحداث السابقة وكلها حقيقية وموثقة (ركوب الدابة فى جامعة أسيوط: مجلة المصور، قضاء الحاجة فى الخلاء فى المنيا: منشور للجماعة الإسلامية، استبدال النشيد الوطنى وتحية العلم بالهتافات الدينية فى سوهاج: جريدة الأهالى) وهل هو الاندفاع أم التطرف، أم الإرهاب، أم كل هذا مضافا إليه غياب العقل والوعى معا؟

أى أسلوب يجدى يا ترى مع هؤلاء وأمثالهم، هل هو المجادلة بالتى هى أحسن، أم المجادلة بالتى هى أسوأ؟ وما هو الأسوأ مما نسمعه عنهم ونراه منهم؟

هذه أسئلة لا تغنى عن محاولة استعراض أسباب المشكلة، وسبل الحل، وهى محاولة صعبة أمام تيار يمرح أفراده فى مساحة واسعة تبدأ بالرفض وتنتهى بالخبال، وتمر بينهما على العنف لفظا ويدا وسيفا ومدفعا ..

جذور المشكلة:

ونبدأ بالأسباب : وهى متعددة ومتشابكة، وبعضها تاريخى وبعضها حديث غير أنا نحاول وضع أيدينا على بعض الأسباب ونطرحها فى صورة تساؤلات ..

* هل السبب هو غياب القضية الوطنية، بعد الحصول على الاستقلال، وانتكاس القضية القومية بالهزيمة، وابتعاد الخطر الخارجى بالمعاهدة، وهل نحن حقا على عكس الشعوب المتقدمة، لابد وأن نطمئن لقيادة "كاريزمية" أو نتجمع فى مواجهة عدو خارجى، أو ننفعل بأهداف كبيرة، فإذا تضاءل ذلك كله فوجئنا بأننا عارون حتى من دفء الشعارات واندفعنا فى أحضان أول وعد بالدفء، حتى ولو كان وهما؟..

* هل السبب كامن فى أننا لم ندفع ثمنا للحضارة وإنما انتقلت إلينا على يد الرواد فسهل علينا خلعها لأنها لم تكن إلا قشرة واهية، وخارجية، وأنه قد آن الأوان لدفع الثمن، ربما مضافا إليه فوائد التأخير؟

* هل انسحقنا جميعا لهزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧، فتعاملنا مع العالم والحضارة بمنطق المهزوم، الذى ينسحق إلى داخله عند التحدى، ويفضل الارتداد

خلفا بدلا من التقدم، عن إحساس عميق بالعجز، وثقة غائبة بالنفس.

* هل كنا ضحية تزييف التاريخ، حيث نقله إلينا الرواد مصفى من شوائب القهر والاستبداد والانحلال، حتى هيئ إلينا أننا فقدنا حلم الجنة واستبدلناه بحجم الواقع المتردى، وأننا فى هذا وذاك، لم نتخل عن طبيعتنا الشرقية، التى تميل إلى التجريد، فتجرد الواقع من كل مزية، والحضارة من كل فضيلة، والتاريخ من كل شائبة؟

* هل ترهلت عقولنا حتى عز عليها التفكير وتفرقت أفكارنا حتى عز عليها التجديد، وترفعت طاقاتنا عن الإبداع وقدراتنا عن تصور النسبية فى الصواب والخطأ، وأذهاننا عن استيعاب مفهوم الفكرة والنقيض، فاسترحنا إلى أول طارق يعد بإلغاء كل ذلك.، وإحالة كل أمر إلى أعلى، وعز علينا عجز القدرة فاستبدلناه بقدرة العاجزين؟

* هل هى الأزمات الاقتصادية التى نعانيها، والتى كانت تنبئ باليسار فإذا هو عاجز، بل إذا ببعض رموزه تتساقط كالثمار الناضجة فى ساحة التطرف،

وتراهن على الحل فى الفردوس، وتعد من لا يملك كوخا يؤويه بقصر فى الجنة، ومن لا يجد عدلا يحميه بالميزان العادل فى الآخرة، وتقرن بين تجمد الحركة وانسيال البركة؟

* هل هى مزايدات السياسة، حين أصبح هم قياداتها ذقنا تطول أو توبة تعلن أو حج تنقله وكالات الأنباء، بينما فى النفس ما فيها من طمع إلى أصوات أكثر ومن توسل إلى قلوب خافقة، ومن مخاطبة لعقول مغلقة، وليس مهما من يدفع الثمن، المهم أن يحصلوا هم على مقدم الأتعاب؟

* هل هو الرصاص الذى أصاب البعض فى الظاهر، وأصاب الجميع فى الواقع فجبن من جبن، وزايد من زايد، وبايع من بايع، وباع من باع؟

* هل هى القوى الكبرى التى لا تريد سلاما للمنطقة، ولا تنمية لشعوبها، ويعنيها أن ننسحب من صراع القوى العالمية إلى الخلاف حول حديث الذبابة، ومن قيادة العالم الثالث إلى بحث أحوال العالم الآخر، ومن سباق الفضاء إلى سباق قضاء الحاجة فى الخلاء؟

* هل هو الإعلام، المغيِّب الوعى، المغيَّب للوعى،

المعادى للتقدم، المعتدى على التقدم، المساند لكل دعاوى الردة الحضارية، فى حنكة لا تليق إلا بالمحترفين؟

* هل هو بعض ما سبق، أم كل ما سبق، أم أن ما سبق لا يكفى للتفسير، وأن هناك أسبابا أخرى تطرح أسئلة أخرى، وكيف يا ترى يتم توظيف الشىء ونقيضه لخدمة تيار الردة الحضارية، فتصبح هزيمة يونيو (حزيران) سببا ثم يحدث النصر، فيضاف سبب جديد يتمثل فى أن النصر أتى على جناح الملائكة، واستجابة لصيحة الله أكبر، وانتصارا لخطة (بدر)، وتأكيدا لفضل رمضان، وهكذا وبلا سابقة أعرفها، تتحالف الهزيمة والنصر على تعميق المأساة ...

ولماذا ارتبط التطرف بالشباب :

لأننا اغتلنا أحلامهم فى مستقبل أفضل، واغتلنا أفكارهم بمناهج تعليمية متخلفة، واغتلنا ذاكرتهم بتزييف التاريخ، واغتلنا وعيهم حين علمناهم أن يروا الحقيقة من زاوية واحدة، واغتلنا أبصارهم حين حصرنا الألوان فى الأبيض والأسود، تماما كما اختزلها المتطرفون فى الجنة والنار، أما اللون الرمادى فقد محوناه من أذهانهم، وتخلفنا حتى عن المعتزلة الذين

تحدثوا قبل ألف عام عن المنزلة بين المنزلتين، وليس لنا أن نندهش، لأننا الفعلة مع سبق الإصرار والترصد، وهى حقيقة مريرة بقدر ما هى صحيحة ...

وهل هناك حل؟

بالتأكيد، بيد أن هذا مجال حديث آخر ...

الفتاة المصرية وقضية الدين *

هذه محاضرة مزعجة، فكرت كثيرا أن أعتذر عنها، لولا ذلك الضعف الذى ينتابنى دائما أمام الحقيقة، أو على الاقل ما أعتقد أنه حق، ومبعث الإزعاج لا يكمن فى مضمون المحاضرة، فهى فى النهاية رأى، ووجه من وجوه الحقيقة، وهو رأى لا يحتاج إلى جهد كبير فى استنباطه، ولا إلى جهد كبير فى الرد عليه لأن الاختيار واضح فى البداية بين سبيلين، لكن الإزعاج يأتى من طبيعة المناخ الفكرى السائد، وهو مناخ ينتج واقعا، ويفرض توقعا.

أما الواقع فهو ما يسود المناخ الفكرى والثقافى من أن الرأى الصحيح هو الرأى المريح، وأنه بقدر ما يكون الرأى مريحا بقدر ما يكون صحيحا، وبقدر ما يزعج بقدر ما يكون مرفوضا وخاطئا، وأما التوقع فهو أن ينتظر منك القراء أو السامعون، أن تترجم ما فى أذهانهم، وأن تعبر عن دواخلهم، وأن تنطق بما يرددون بينهم وبين أنفسهم دون اقتناع فى أغلب الأحيان، وإذا

* محاضرة ألقيت بجمعية تضامن المرأة العربية بالقاهرة بتاريخ ٢٩ / ٨ / ١٩٨٧

أراد الحاضرون نموذجا على ما أذكره، فدونهم أشهر كتاب الأعمدة فى الصحف المصرية، وسوف يجد القارىء أن شعبية الكاتب تتناسب طرديا مع مدى تعبيره عن دواخل الأغلبية، بصرف النظر عن صحتها أو اعتقاده بأنها صحيحة، ولهذا تعود القراء أن يؤجلوا قراءة عمود كاتبهم المحبوب أو مقاله إلى ما قبل النوم، حيث تبعث عليه، وتسرع به لأنها تطمئن القارىء إلى أنه على طريق الصواب، لأنه يقرأ فيها صوته الداخلى، بينما لو قرأ لمثلى بعض ما أكتبه، لقفز من فراشه وجافاه النوم، ولا نزعج كثيرا وأنا أداعب ذلك العزيز الذى توصد عليه النوافذ، ويمنع عنه الهواء والنور، وأقصد به العقل، لأننى أستخدم أداة تعود كثير من القراء على تجاهلها وهى المنطق، ولأنى أطرح عليه ما لم يتدرب على سماعه، ناهيك عن محاورته، وأقصد الرأى الآخر..

والحقيقة أن الكاتب من الطراز الأول مريح للجميع، ومرتاح إلى قبول الجميع، بينما الكاتب أو المفكر من النوع الثانى مزعج للجميع ومنزعج من هجوم الجميع، وعلى الرغم من أساه وهو يرى الشرخ واسعا بين رؤيته ورؤية المحيطين به، إلا أن عزاءه الوحيد، يتمثل فى طبيعة الفكر الإنسانى، لأنه لا يتطور

إلا بأمثاله، ولا يتجدد إلا بظهور نظرائه، وبقدر ما يمتلك الشجاعة، ويمتلكها معه الآخرون، بقدر ما يكون تأثيره واضحا وربما واسعا وربما سريعا..

حسنا.. لتكن هذه المحاضرة نموذجا على ما أذكره، وما دام موضوع المحاضرة هو (الفتاة المصرية وقضية الدين)، فالمتوقع أن يلزم أصحاب الرأى المريح جانب التأكيد على أن رفعة شأن المرأة وحريتها، وكرامتها، وحقوقها، تتحقق جميعا من خلال الالتزام بقيم الدين، وقد يجد مثل هذا الكاتب منعطفا هنا، أو ثغرة هناك، فيضيف إلى المقولة السابقة تحرزا ذكيا فحواه (بشرط فهم الدين فهما صحيحا)، ولا بأس من استخدام لغتنا العربية بما تحمله من قدرة على خداع الألفاظ، وتطويع بل وأحيانا تلويع الكلمات لعكس المعنى وخلاف الحقيقة..

هنا يستريح الكاتب أو المحاضر ويستريح القارىء أو المستمع، وهنا يجد فى مواجهة أى قيد لفظا براقا أو مصطلحا جذابا، فإذا كان حجاب المرأة واجبا دينيا، فلا بأس من وصف المرأة بأنها (الدرة المكنونة)، (والجوهرة المصونة)، وعليها أن تظل مكنونة فى ثوب لا يحف ولا يشف ولا يكشف ولا يصف طالما أنها درة،

ومطلوب منها أن تظل مصونة خلف النقاب أو الطرحة لأنها جوهرة، وإذا نظرنا إلى عملها على أنه حاجة وليس حقا، وطالبناها بلزوم المنزل إن كان زوجها قادرا وذا سعة، فلا بأس أن نلفت نظرها إلى أنها بذلك سوف تصبح (ملكة متوجة)، لأن البيت هو (مملكتها الصغيرة)، ويالها من حسنة الحظ لأنها سوف تصبح من (ربات الخدور) أو (ربات الحجال) وأستطيع أن استطرد فى عديد من الأمثلة كلها توحى بنفس المعنى، وتستهدف ذات القصد وهو تزييف الفعل باللفظ المعسول، والخداع عن الواقع بسلاح البلاغة، بيد أن للبلاغة مدى ولمعسول اللفظ حدودا تنتهى عندما يتطرق الأمر إلى أمور واضحة لا مجال للبس فيها مثل حظر (الولاية) على المرأة، أو رفض شهادتها فى الحدود أو القصاص أو اعتبار شهادتها فى غير ذلك مساوية لنصف شهادة الرجل، حيث يدور الرد حول أحد محورين، أولهما يفتح نافذة ضيقة للحوار، حين يحدثك عن ضعف المرأة، وأنها مخلوق عاطفى، وأنه يصيبها من الآلام الشهرية ما يخفض مرتبتها أو قدراتها عن قدرات الرجل أو مرتبته، فاذا جادلت أحالوك إلى المحور الثانى للرد، وهو محور يغلق أمامك الأبواب والنوافذ، حيث تواجه بأنه تقدير الله، وحكمته، وحكمه، وهل تعلم أنت ما يعلم

حتى تحاور فى معلوم من الدين بالضرورة، وهل تملك أن ترد لله أمرا أو تأتى ما نهاك عنه؟، وهو محور ذو منهج ربما دعاك لإغلاق فمك بيديك حتى لا تندّعنك عبارة، يساء فهمها، أو تصدر عنك إشارة يساء تأويلها، وسوف يتحدثون معك عن إقرار الإسلام للمرأة بالذمة المالية المستقلة وهى حقيقة ناصعة، وإيجابية لا شك فيها، وسوف يحدثونك عن حكمة أن ميراث المرأة نصف ميراث الرجل، بحديث سوف يخطف لبك ويسعد فؤادك، فهو نِصْفٌ محظوظ، لأن الإنفاق على المرأة مسئولية رجلها، وربما كان أكثر قيمة أو بركة من ضِعْف يضطر صاحبه إلى الإنفاق منه على مسئولياته وما أكثرها، وهكذا وهكذا، لا تنتقل من قول مريح إلا إلى قول آخر يسعدك أكثر ويريحك أكثر، ولا بأس من ختام تركن اليه وتهنأ، حين يقارن كاتبك المريح - المستريح - بين وضع المرأة فى الجاهلية ووضعها فى الإسلام، وسوف تجد فى كثير مما يعرضه عليك، موثقا أحيانا بآيات الذكر المبين، وأحيانا أخرى بأقوال التابعين، وأحيانا بأقوال تابعى التابعين، وأحيانا بأقوال المحدثين، فرقا هائلا بين حال وحال، وقد يخطر على بالك فجأة أنه ما هكذا تكون المقارنة أو تجب، فمالنا نحن وما للمرأة فى الجاهلية، وما أشد احتياجنا

إلى مقارنة وضع المرأة فى الإسلام بوضعها فى إطار القيم الحضارية، بيد أنك تمسك لسانك، وتعقل جنانك، فأين الثرى من الثريا، أين قانون البشر وأحوال البغاة والخطاة، من قانون السماء ورحمة الله بالمرأة أو الفتاة، بيد أنك لن تستطيع مع كاتبك صبرا، وهو يحدثك عن تضييق الإسلام لمداخل الرق، وتوسعته لمخارجه، وسوف يفلت منك تعليق مضمونه أن منع الرق لم يحدث بتعاليم القرآن، ولا بأحكام العقيدة، بل حدث بتأثير الحضارة وحرمته مواثيق حقوق الإنسان، وسوف يجيبك كاتبك مبتسما بأن الإسلام فى موقفه من الرق كان متقدما عن غيره من العقائد، وأنا شخصيا أرى أن هذا صحيح، وسوف يستكمل حديثه المنطقى الساحر، بأن يؤكد لك أن الإسلام قد راعى ظروف العصر عندما نزل، وعندما كان مستحيلا أن يمنع الرق مرة واحدة وأنه لهذا ضيق باب الرق وأوسع باب العتق، حتى يتم الأمر بالتدريج، وحتى ينتهى إلى ما انتهى اليه اليوم، وربما أغراك شيطانك بالتوقف أمام تلك العبارة العابرة، (مراعاة ظروف العصر)، وربما أغراك أكثر بإعادة ترديدها مشفوعة بتساؤل شيطانى، عن حكمة عدم مراعاة ظروف عصرنا الحاضر، خاصة ونحن نتحدث عن فروع الفروع، وقد تغيرت نظرتنا للأشياء وردود فعلنا

أمام كثير من الظواهر أو المظاهر، فلا أحسب ولا تحسب أنت أيضا أن تعطر المرأة الأجنبية عنك أو المحرمة عليك، يثير فى نفسك دوافع الرغبة وشيطان المضاجعة، بل أحسبك تراه كما أراه محمودا كبديل لرائحة العرق فى مناخنا الحار، ولا أحسب ولعلك لا تحسب أن المرّأة التى تصل شعرها بجزء من الباروكة أو تغطيه لدواعى السرعة بباروكة كاملة ترتكب إثما أو تثير غريزة، ولا أحسب ولعلك لا تحسب أن تجميل الأسنان القبيحة إثم أو دعوة لخطيئة، ولا أحسب ولعلك لا تحسب أن تسوية المرأة لحاجبيها مدعاة لفتنة أو مقدمة لزنا، بيد أنك فى هذا وفى غيره تصطدم بأن هذا كله محل منع وتحريم، وسوف تواجه بأحاديث نبوية موثقة لابد وأن تدفعك إلى أسئلة سوف تتداعى سؤالا وراء سؤال..

- هل ما سبق كله يدخل ضمن أصول العقيدة أو ضمن فروعها؟..

وسوف تكون الإجابة أنها فروع..

- هل ورد شىء من هذا فى القرآن الكريم؟

وسوف تكون الإجابة بالنفى فكل هذا سنة قوليه،

عدا التعطر إذا أوردناه ضمن الزينة وهو اجتهاد يقابله اجتهاد آخر بأنه منع لضرر الرائحة الكريهة..

– ألم يُفتِ كثير من الفقهاء بأن سنة الرسول فى الزى والعلاج ملزمة لعصره وليست ملزمة لما يليه من العصور؟

والإجابة بالإيجاب.

– ألا يجوز أن نحمل أقوال الرسول فى هذه الأمور على نفس المحمل، وأن نقيسها بنفس المقياس خاصة وأن شيئا منها فى عصرنا لا يثير فتنة ولا يحرك شهوة ولا يشغل فى نفوسنا أى إحساس بالاستنكار أو الفزع أو الإثم أو الخطأ أو الخطيئة؟

وهنا لابد أن أنبهك أيها المستمع إلى أنك قد خرجت على كاتبك المريح، وودعت إلى غير رجعة منهجه المستريح وانتقلت على حين غرة إلى موقع المزعجين، وفزعت فأفزعت، وانزعجت فأزعجت، ولأنى مثلك مفزع مزعج، يطيب لى أن أحاورك، طالما أن الساحة قد أخليت للمنطق، والمساحة قد اتسعت لإعمال العقل..

وأبدأ فأقول، إن الاسئلة التى راودتك خطيرة.

والإجابات التى أوردت أخطر ومثلى يقدر حسن نواياك، ورغبتك الجارفة فى أن لا يصطدم فى عقلك العزيزان (الإسلام والعصر)، وأنا مثلك تماما، تؤرقنى نفس الرغبة، غير أنى أعيد ترتيب المسائل على نحو مختلف، وأرى أن المشكلة كلها تكمن فى نقطة البدء التى تحكم منهج التفكير، وهى التفرقة بين ما هو عام وما هو خاص..

إن قضية المرأة، وحقوقها قضية عامة، وأى قضية عامة تقف على مفترق طريقين، ولك فى البداية أن تختار بينهما، أما الطريق الأول فهو الاحتكام إلى ما يسود المجتمع حاليا، وهو مجتمع مدنى تحكمه القوانين المدنية، ويسوده الدستور والقانون والمواثيق الدولية وعلى رأسها إعلان حقوق الإنسان.. هذا طريق قائم وواقع سائد، أما الطريق الثانى فهو الطريق الذى ينتصر له أنصار الدولة الدينية، وهو واقع يستهدفه هؤلاء الأنصار، ويرفضون من خلاله واقع المجتمع السائد، وإطاره المدنى الممثل فى الدستور والقانون وحقوق الإنسان، ويعبرون عن هذا الرفض بالاحتكام إلى بديل آخر وهو القرآن والسنة ومصادر الفقه الأخرى مثل الإجماع والقياس وغيرهما، فإذا اخترت

البديل الأول وهو ما أختاره وأدعو إلى اختياره والإصرار عليه، فإياك أن تتصور أن ذلك يعنى رفض البديل الثانى، وإنما يعنى تأجيله إلى مرحلة لاحقة وفى إطار أضيق وهو إطار الخصوصية، حيث تصبح بعد اختيارك الأول أمام اختيار خاص بك، يثيبك الله عليه أو يعاقبك، وتقبل منه ما تقبل، وتفعل من خلاله ماتفعل، وحسابك على الله، أما الاختيار الثانى أو التالى فهو أن تحدد موقفك الشخصى،لا موقف المجتمع، من قواعد الدين ومثله وقيمه، وهنا تتعدد بك السبل، فقد تقبل هذه القواعد جميعا، وتتّبعها جميعا، وتجمع بين دينك ودنياك، وحياتك الدنيا وآخرتك، وهذا حقك واختيارك، وقد تقبل الأصول وتجتهد فى الفروع وحسابك على الله بقدر اجتهادك وبقدر صحة هذا الاجتهاد، وقد تقبل ولا تفعل، وقد تفعل ولا تقبل، وقد لا تفعل ولا تقبل، وهذا كله اختيار من اختيارات، وسبيل من سبل، وهو فى النهاية موقف خاص بك إلى أقصى حد، واختيار شخصى لك بلا شك، ومنهج فردى لا يفرض موقفا على أحد، ولا تفرض عليه وصاية من أحد..

ومادمنا قد وصلنا إلى هذه النقطة، فان المحاضرة بأكملها تصل إلى طريق مسدود، لأنى أدعوك إلى القبول بمنهج للتفكير، ولا أدعوك إلى اختيار أسلوب فى

التعبير أو الحياة أو السلوك، وإذا وافقت معى على المنهج الذى توصلت اليه، فإن عليك أن توقفنى إن استطردت فى شرح تصورى أو إعلان اجتهادى بشأن القضايا التفصيلية، لأننى مسلّم معك بأنها خصوصية، وأنها اختيار شخصى، وأنها تلزمنى ولاتلزمك، وأنه مادام حسابى على خالقى فيما أجتهد فيه، وأسلكه، فما حاجتى إلى فرضه عليك ولو بالسماع، وما حاجتك ولك اجتهادك واختيارك، وعليك وحدك تحمّل نتائج هذا الاختيار، ولعلك ترى معى ما يؤكد لك مقولتى فى بدء الحديث، من أنها محاضرة مزعجة بالفعل، لأنها لا تنتهى بما توقعت منى، فلا شك أنك انتظرت منى رأيا فى الحجاب، أو النقاب، أو حق المرأة فى العمل، أو نصيبها من الميراث، أو تهذيبها بالضرب غير المبرح، أو عدم قبول شهادتها، أو عدم قبول ولايتها، ولعلك تضرب كفا بكف وأنا أحيلك إلى الدستور والقانون وميثاق حقوق الإنسان، ولعلك إن تمعنت قليلا فسوف تشعر براحة كبرى، حين تتبع منهجى فتهرب ممن يفرضون عليك ما لم يفرض بعد، وما لا أعتقد أن أحدا يملك فرضه غير ضمير الشخص نفسه، وغير عقيدته بينه وبين نفسه، وبينه وبين خالقه، ولسوف أكرر دائما على مسامعك ولا أملّ من التكرار، أن أقبل

بالدستور والقانون وحقوق الإنسان فقط فيما يتعلق بعلاقتك بالمجتمع، وحسابك فى هذا على المجتمع، وبالدستور والقانون، أما إيمانك وتدينك، وطاعتك لله وتعبدك، وقبولك لأوامر الله ونواهيه، فحسابك فى ذلك على الله، ورجاؤنا ألا تلح على أذهاننا أو آذاننا فى هذا كثيرا أو قليلا، فنحن نقرأ ونبحث، ونفحص ونمحص، ونختار فى النهاية ما نختار.

يبقى فى النهاية تعليق أخير ربما يبعث على الابتسام، فقد لاحظت وأنا أكتب، أننى أوجه حديثى إلى الرجل وليس إلى المرأة، رغم أن الندوة فى جمعية تضامن المرأة، ورغم أن المتوقع هو أن تكون الحاضرات أغلبية وصدقونى أنه خطأ غير مقصود، ربما كان سببه خوفى من هروب المنطق وتلعثم البيان، وما أكثر ما حدث ذلك أمام امرأة واحدة، فما بالكن بجمع غفير أثير...

مجرد سؤال

قصة المقال : فجاة امتلات صفحات الرأى فى الصحف، وبريد القراء المنشور فيها، بمطالبات مزعجة، تدعو إلى تطبيق أحكام الإعدام علنا، وفى ميدان عام، مع تلميحات وإشارات إلى أن ذلك هو منهج الإسلام، وأن هذا هو التطبيق الدقيق لتعاليمه، وكان بوسعى أن أصمت كما صمت الجميع، لولا أن ذلك يناقض طبعى، ويتناقض مع ما أعرفه من صحيح الدين، وما أحترمه من حقوق الإنسان، والطريف أن مقال (مجرد سؤال) قد أزعج الكثيرين من أصحاب الميول السادية، فانهالوا عليه باللوم والتعقيب والرفض فى بريد القراء مرة أخرى، فكان ردى عليهم الذى أعتبره مكملا للمقال وعنوانه (قلت وأقول مرة أخرى)، والمقال والرد منشوران فى الأهرام.

المقال : مجرد سؤال..! *

أمامى مقال يدعو إلى عقاب مرتكب جريمة الاغتصاب بالإعدام (على أن يتم التنفيذ فى ميدان عام).

---

* نشر فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٨٨

أما إعدام المغتصب فلا اعتراض عليه، ولا محل للمطالبة به، لأن القانون الحالى، والذى يحلو للبعض أن يسميه بالقانون الوضعى يصل بعقوبة جريمة هتك العرض (وهى جريمة واسعة وفضفاضة ومطاطة) إلى الإعدام .. والجديد هو إضافة المطالبة بالتنفيذ (علنا وفى ميدان عام) تلك المطالبة التى كثيرا ما ترد فى بريد القراء بالصحف وكثيرا ما تتوارد على ألسنة العامة وهى مطالبة تدفع إلى التساؤل ..

ما الذى حدث لنا؟ هل أصبحنا شعبا شديد القسوة بهذه الدرجة؟ إننى لا أتحدث هنا عن جريمة الإغتصاب تحديدا وهى جريمة بشعة، لكنى أتحدث عن السادية التى تنبعث من هذه المطالبة (علنا وفى ميدان عام) ..

ألا يكفى الحكم بالإعدام وألا يكفى العلم بالتنفيذ ، ألا يكفيان وحدهما للردع، ألم يتصور المطالبون بذلك مدى بشاعة هذا الإجراء .. (التنفيذ علنا وفى ميدان عام) .. وهل يتحمل فرد منا أن يشاهد كلبا يرجمه بعض الأطفال حتى الموت، أو قطة يقوم بعض الصغار بذبحها؟

إن الكلام سهل، وترديد ما يردده الآخرون أسهل لكن تبقى الانسانية واحترام المشاعر، بل والرقى بها

دوما.

أى متعة يمكن أن تحدث عند مشاهدة جثة رجل أو امرأة معلقة فى حبل مشنقة فى ميدان؟ ما الذى ينطبع فى ذهن طفل عند مشاهدة هذا الهول؟ وكيف تكون مشاعره عندما يصبح يافعا ويتعرض فى تعامله اليومى لما يمكن أن يتعرض له الجميع من غضب وكره وخيانة من الاخرين أو إهانة منهم، ثم يقفز إلى ذهنه فجأة هذا المنظر الذى تعود عليه، الجثة المعلقة من رقبتها مدلاة الرأس تهزها النسمات يمنة ويسرة .. ألا يصبح القتل إلى نفسه أقرب والقسوة بوجدانه ألصق والانتقام أيسر؟ مجرد سؤال.

لقد اهتزت مشاعر المصريين وانهالت مئات الخطابات للاحتجاج عند نشر صورة الزوجة السويسية (التى قتلت زوجها وقطعت جثته ووزعتها على صناديق القمامة فى أكياس نايلون) أقول فزع المصريون لنشر صورها وهى موثقة اليدين أمام حبل المشنقة قبل لحظات من التنفيذ، وكانت دلالة الاحتجاج أنه لا تزال فى قلوب المصريين الرحمة ولا يزال رصيد الإنسانية واحترام الآدمية موجودا فى نفوسهم وفى ضمائرهم ..

إننى شخصيا لا أتحمل أن أرى دجاجة تذبح أمام عينى، وما أكثر ما نهيت أطفالى عن مشاهدة ذبح خروف العيد لأنه منظر مفزع ولست أتصور اننى مرهف الحس إلى درجة الشذوذ، لأن الدم هو الدم. والعذاب هو العذاب، والموت هو الموت، ومن لا يرحم لا يرحم، وإذا كنا نقتل الحيوان أو الطير مضطرين فهذا شئ والاستمتاع به شىء آخر..

ربما سألنى البعض عن سبب الكتابة فى هذا الموضوع وإجابتى: ليس لشىء إلا لإزاحة عبء نفسى كان جاثما على صدرى وانزاح بكتابته ..

تعقيب منشور : قلت وأقول مرة أخرى *

أتابع التعليقات على مقالى الرافض لعلنية تنفيذ الإعدام فى الميادين العامة، وكنت أود عدم المداخلة، خاصة وأن هناك المؤيد والمعارض، الأمر الذى يتيح للقراء فرصة التعرف على وجهتى النظر، لولا أن المؤيدين لعلنية العقوبة قد ركزوا على تأصيلها فقهيا وصوروا الاعتراض عليها على أنه رفض لحكم قرآنى قطعى، ولهؤلاء أقول:

* نشر فى بريد القراء فى جريدة الأهرام بتاريخ ١/٢/ ١٩٨٩ - تعليقا على خطابين نشرا فى نفس المكان ينتقدان ما ذكرت وخطاب يؤيد

أولاً: لم يرد فى القرآن الكريم كله، نص على علنية العقوبة إلا فى آية واحدة خاصة بجلد الزناة (وليس رجمهم) وهى الآية الثانية من سورة النور، وعدا هذه الآية خلت الآيات التى نصت على العقوبات الأخرى من أية إشارة صريحة أو ضمنية إلى علنية العقوبة.

ثانياً: ورد نص العلنية المشار إليه فى الآية السابقة بالنص التالى (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) وفى التفاسير (يقصد بطائفة من المؤمنين رجل أو رجلان فصاعدا لكى يحفظوا الحد)، وفى معاجم اللغة، الطائفة واحد فأكثر أو اثنان فأكثر، وانظر وتأمل فى حكمة الله جل شأنه، ولو شاء لقال - وليشهد عذابهما المؤمنون - لكنه ضيق برحمته ما لم تتسع بعض القلوب لفهمه واستيعابه، ولله فى خلقه شئون.

ثالثا: وحتى لواجتهد البعض مع النص السابق، وأفتوا بعلنية كل العقوبات ومنها الإعدام - فإن من يحضرون تنفيذ حكم الاعدام فى بلادنا بحكم وظائفهم، يزيدون عن عشرة أفراد، أى أكثر من خمسة أضعاف أقصى التقدير للحد الأدنى للطائفة، وفى هذا تطبيق والتزام بالنص القرآنى.

رابعا: قلنا ونقول إن رأينا منصب على العلنية وليس العقوبة، وأنه محدد فى الرد على المطالبين بالإعدام فى الميادين مع النقل التليفزيونى (كذا)، ومن هنا فلا محل للغمز بالحديث عن (رأفتنا بالمحكوم عليه) لأن الإعدام ذاته عقوبة قاسية لا رأفة فيها ولا شفقة، ولا مجال لاستدراك الخطأ فيها لو حدث.

خامسا: قد يرى البعض أن علنية التنفيذ فى عهد الرسول سنّة فعلية واجبة الاتباع، ورأينا فى هذا أن علنية العقوبة كانت سمة عصر الرسول، بل سمة عصور قبله وعصور بعده، وأنه يجوز أن تحمل على محمل الزى والعلاج وهما بابان من أبواب السنة الشريفة، يرى أغلب الفقهاء أن الرسول قد تأسى فيهما بعصره، ولا ينصرفان لغيره من العصور، وهذا بالطبع فيما لم يرد فيه نص قرآنى قطعى.

سادسا وأخيرا: أردت بتوضيحى هذا أن أؤكد على أن للاجتهاد فى الإسلام أبوابا تتسع للرحمة والإسلام دينها، وللإنسانية والإسلام راعيها، ولحقوق الإنسان والإسلام حارسها، وأن تنفيذ الإعدام بصورته الحالية لا يخالف نصا قرآنيا، وأن التركيز على الرحمة فى الإسلام أقرب إلى روحه من التماس القسوة وأيسر تناولا وأقرب

سبيلا، أما من استمتع بفصل الرقاب وقطع الأيدى، وصفق مع المصفقين، وهتف فى طرب مع الهاتفين فقد أضاف إلى معلوماتى جديدا، فقد كنت أتصور أن قصد العلنية هو الردع، وفاتنى أن البعض يقصدون المتعة، وجل من لا يسهو.

ملحق رقم (١)

نص رسالة شيخ الأزهر للأستاذ فهمى هويدى

والمنشورة فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٦ فبراير١٩٨٨

رسالة من شيخ الازهر

الأهرام ١٩٨٨/٢/١٦

الأستاذ فهمى هويدى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فقد أطلعت على ما كتبت على مدى أسابيع ثلاثة تحت عناوين "حديث الإفك"، "الإسلام السياحى"، "ثرثرة مريبة فى الدين"، ولقد سرنى وأثلج صدرى محتوى هذه المقالات. سلمت وسلم قلمك ..

وإنى لأتساءل معك يا أخى: من الذى يسلط أمثال هؤلاء على الإسلام والمسلمين؟ ولحساب من يعملون؟ ومن الذى يمكنهم من هذه المساحات فى بعض الصحف ينشرون عن طريقها تلك السموم التى توجه إلى أبناء مصر بخاصة وإلى شعوب الأمة الإسلامية بعامة؟

إذ أنها متى أخذت موقعها فى مصر الأزهر، رائدة المسلمين وأملهم، أصبحت حَرِيَّة بأن تكون موضع النظر والأسى والأسف في غيرها من الدول الإسلامية تحت هذه العناوين السوء .

ترى من وراء هذا المخطط الذى تبنته بعض الصحف والمجلات فى مصر وهذه المطبوعات التى تظهر بين الحين والحين لتصد عن سبيل الله.. ولتصرف الناس كل الناس عن طلب الاستقامة وتصحيح المسار ؟

إنهم بهذا المخطط يناهضون طلب الإصلاح بالإسلام.. وهو الأصلح للحياة.

ترى هل يجوز فى عرف العقلاء أن نكافح جراثيم الأمراض والأوبئة، ونترك تجار أوبئة الفكر ومروجى أحاديث الإفك يضلون الناس، ويشغلونهم عن القضايا الجادة فى حياتهم، ويحاولون زعزعة عقيدة الإسلام فى قلوب أهله- وما هم ببالغى ذلك بإذن الله-: (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) .. كل ذلك باسم الحرية التى أساءوا فهمها واستعمالها .

يا أخى: لست فى مقام مناقشة بعض هذه الكتب

من إنتاج هذه الفئة التى استمرأت سكوت العلماء والكتاب عن تعقب إفكها وفضح مخططاتها. وإنما أردت أن أشد على يدك.. وأدعو كل ذى قلم منصف أن يقول كلمة حق. وأن يبرئ ساحة الإسلام- وهى بريئة بحمد الله- من هذا الإفك .

إننى أدعو الكتاب وأصحاب القلم أن يواجهوا فى الصحف كل فكر مفتر على الإسلام.. وأن يذبوا عنه وعن المسلمين هذا الذباب الموجه إلى موائدهم الاسلامية لتظل بعيدة عن هذا البلاء الذى أوشك أن يحل بساحتهم.

إن أولئك الذين يتباهون بأنهم يتحدثون عن الإسلام بهذه المفاهيم الفاسدة ينبغى أن يواجهوا فى كافة الساحات ومن سائر القنوات فإن معظم النار من مستصغر الشرر .

إن أمن الأمة فى حاجة إلى مواجهة جادة لهذا الفكر، الذى يشيع الفتنة. وذلك واجب أهل العلم وأصحاب القلم، كما هو مسئولية كل ذى مسئولية فى مكافحة الخروج على النظام ومثيرى الشغب، والمنتسبين زورا إلى مالا يحسنون، والمضفين على

أنفسهم صفات وألقابا تتجاوز واقعهم، بل وتفصح عن خبيئة نفوسهم: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)

وفقك الله لقول الحق ونشره وأثابك وأمدك بروح من عنده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

جادالحق على جادالحق

شيخ الازهر

ملحق رقم (٢) الإفتتاحى

النص (التاريخى) الكامل لمقال الأستـــاذ مصطفى كامل مراد رئيس حزب الأحرار بجريدة الأحرار بتاريخ ٧ يوليو ١٩٨٦

رأى المعارضة

كنز قارون!! وهل يبحثون!!

قال تعالى فى كتابه الكريم فى سورة القصص آية ٧٦ «إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولى القوة».. إلى آخر الآية .. ثم قال تعالى فى نفس السورة «آية ٨١» «فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين».

والمتمعن فى هاتين الآيتين الكريمتين يتضح له أن قارون كان من أثرياء مصر وكان من قوم موسى أى أنه كان يهوديا ولكنه لم يكن من المؤمنين بموسى عليه

السلام ولكنه كان ممالئا لفرعون شأن بعض الأثرياء حينما يمالئون أو ينافقون السلطان طمعا فى زيادة ثرواتهم وخوفا من بطشه، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد وصفه بأنه بغى أى طغى واعتدى على أهله من اليهود وأوضح الله سبحانه وتعالى أن قارون كان واسع الثراء حتى إن مجموعة من الرجال الأقوياء كانت تحمل بصعوبة مفاتيح كنوزه والعصبة كما نعلم تتراوح بين سبعة وعشرة رجال، والرجل القوى عادة يحمل ما يقرب من مائة كيلو أى أن وزن مفاتيح الكنوز يصل إلى ما يقرب من طن فما هو يا ترى حجم الكنوز إذن .

لا شك أنها كنوز كبيرة ضخمة حتى أن الله سبحانه وتعالى وصفها هذا الوصف. الرائع الدقيق فى كتابه الكريم، وأن الله سبحانه وتعالى قد خسف به وبداره الارض عقابا له على طغيانه وكفره أى أن قارون وداره وما تحمل من كنوز قد هبطت فى الأرض لأن المعروف فى ذلك الزمان وأن الأثرياء كانوا يحتفظون بكنوزهم فى دورهم والذهب والفضة والمجوهرات معروف أنها لا تبلى ولا تتآكل بمضى الزمن وهذا يعنى أن كنوز قارون مستقرة فى مكانها فى حطام داره فى باطن الأرض على وجه اليقين وأنها كنوز ضخمة كبيرة

حتى أن الله تعالى وصفها هذا الوصف المحكم فى قرآنه الكريم الذى نؤمن به ويؤمن به كل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم ..

والذى أهدف اليه من هذا المقال هو أن أسترعى نظر الحكومة إلى ما يأتى : -

أولا: أن يقوم بعض الأساتذة والعلماء من المصريين المتخصصين فى التاريخ المصرى القديم لمعرفة مَن الفرعون الطاغية الذى عاصره موسى عليه السلام؟ ودعاه إلى الإيمان بالله فأبى لأن قارون الواسع الثراء كان يهوديا من أهل موسى وكان معاصرا لذلك الفرعون وممالئا له ضد موسى عليه السلام ودعوته الحق وأن يحاولوا معرفة المكان الذى كان يعيش فيه قارون، وهل هو فى مكان بحيرة قارون الحالية أم فى مكان آخر وأغلب الظن أنه كان يعيش فى الفيوم أى فى المنطقة التى تقع فيها بحيرة قارون وأغلب الظن أيضا أنها سميت باسمه، وقد يكون ظننا أن بحيرة قارون قد ظهرت نتيجة لهذا الخسف الذى فعله الله تعالى بدار قارون هذا ما نطلبه من الحكومة ومن المؤرخين المصريين وغيرهم من المتخصصين فى

التاريخ المصرى القديم .

ثانيا: أن تطلب الحكومة من علماء الچيولوچيا أى علم طبقات الأرض أن يبحثوا عن التركيب الچيولوچى لمنطقة بحيرة قارون فقد يكون ذلك الكنز الكبير على بعد أمتار من قاع البحيرة كما حدث فى أسطول نابليون الذى تم اكتشافه أخيرا .

ثالثا: أن يقوم د. عبدالهادى قنديل وزير البترول بتكليف بعض الشركات المتخصصة للبحث والتنقيب واستخدام الأجهزة العلمية الحديثة للاستشعار عن بعد والأقمار الصناعية للبحث فى بحيرة قارون وما جاورها لعل وعسى أن نجد هذا الكنز العظيم الذى ورد فى كتاب الله الكريم فيصبح حدثا تاريخيا يهز الدنيامن أقصاها إلى أقصاها ويكون فاتحة خير على البلاد لفك ضائقتها الاقتصادية (١)..

بقيت بعد ذلك نقطة قد تثار من اليهود (وإسرائيل) حول هذا الكنز ومطالبتهم بالتحكيم فى شأنه على اعتبار أن قارون كان يهوديا بنص القرآن الكريم لأنه كان من أهل موسى عليه السلام فإن حدث

(١) يا سلام

هذا ولاشك أنه سيحدث إن وجد الكنز- فإننا نقبل التحكيم فورا وحجتنا فى ذلك دامغة قاطعة كما هو الحال فى طابا(٢)!!.. التى فيها يمترون وهى ..

١- إن قارون وإن كان يهوديا ديانة إلا أنه مصرى بحكم جنسيته.

٢- إن الكنز إن وجد فى أرض مصر فهو ملك لمصر طبقا للقانون الدولى .

٣- وإذا فرضنا أن إسرائيل جادلت فى الحقوق الثابتة كعادتها فإن رجال البنوك يقولون أن مصاريف حفظ الذهب والمعادن الثمينة والمجوهرات تبلغ واحدا فى الألف سنويا فإذا كان عمر الكنز ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة تقريبا فمعنى هذا أن مصر من حقها مصاريف حفظ تبلغ ثلاث مرات ونصف قيمة الكنز(٣)!!!!

بقيت كلمة أقولها للحكومة المصرية وهى أنه إذا فرض ووجد ذلك الكنز فلا أقل من أن يكافأ حزب الأحرار بتسليم مقراته السبعة عشر التى استولى عليها الحزب الوطنى وما زال يجادل ويمارى فى

(٢) شوف ازاى ..

(٣) يا عينى..

تسليمها برغم وضوح حق حزب الأحرار فيها، فتفك بذلك ضائقة المقرات التى يعانى منها حزب الأحرار ويرتفع عدد مقراته من سته وعشرين مقرا إلى ثلاثة وأربعين مقرا !! وهذه هى مسئولية د. يوسف والى أمين عام الحزب الوطنى خاصة وأن اسمه على اسم الصديق يوسف عليه السلام وهو من الفيوم أى من منطقة قارون ولكنه ليس من أهل قارون على وجه اليقين!!

هذا هو كنز قارون كما ورد فى كتاب الله تعالى فهل يبحثون؟!! وهل ينقبون؟!

مصطفى كامل مراد

الأحرار ٧ يوليو ١٩٨٦

ملحق رقم (٣)

النص (الطريف) للسؤال عن فرعون موسى والإجابة
بقلم الشيخ يوسف البدرى عضو مجلس الشعب
وقد نشر ذلك فى الصفحة الثانية من جريد النور-
باب فتاوى وأحكام- العدد ٢٥٥- بتاريخ ١٩٨٧/١/٢٨.

فتاوى وأحكام يقدمها- محمد عبدالهادى

أجاب عن أسئلة هذه الحلقة فضيلة الشيخ يوسف البدرى

فرعون مصر هو قابوس بن مصعب

قال تعالى "وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال أمنت أنه لا إله إلا الذى أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون" من المراد من فراعنة مصر من خلال هذه الآية الكريمة؟

عصام الشريف - مأمون
أجا دقهلية

ذكر ابن الأثير فى كتاب الكامل فى التاريخ ١٦٩/١ أن فرعون مصر فى أيام موسى عليه السلام هو

قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثانى ثم مات بعد أن نودى موسى، وتولى مكانه الوليد بن مصعب وكان أعتى من قابوس وأفجر، وقد تزوج الوليد زوجة أخيه آسية بنت مزاحم .

ومعنى الآية كما ذكر ابن الأثير

بعد أن بلغ بنو إسرائيل إلى البحر ... وأيقنوا بالهلاك. تقدم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق وصار فيه اثنا عشر طريقا ... وعبروا حتى خرجوا ودنا فرعون وأصحابه من البحر فرأى الماء على هيئته ... فاقتحم حتى إذا هم أول جنده أن يخرج وكان قد دخل أخرهم أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فأغرقهم وبنو إسرائيل ينظرون إليهم، وانفرد جبرائيل بفرعون يأخذ من حمأة البحر فيجعلها فى فيه، وقال حين أدركه الغرق أمنت أنه لا إله إلا الذى أمنت به بنو إسرائيل، وغرق، فبعث الله إليه ميكائيل يعيره، فقال له «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين»

وقال جبرائيل للنبى صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى وأنا أدس من حمأة البحر فى فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها .

فلما نجا بنو إسرائيل قالوا: إن فرعون لم يغرق فدعا موسى فأخرج الله فرعون غريقا .

ملحق رقم (٤)
رد الأستاذ أحمد عبدالسلام أحمد
(هيئة إحياء النشاط الإسلامى)
على مقال (تعليق لطيف على بيان سخيف)
الرد منشور فى صحيفة الأيام السودانية
بتاريخ ٢٢ إبريل ١٩٨٨

الأيام السودانية - ٢٢ إبريل ١٩٨٨

رد على تعقيب الدكتور فوده
الإسـلام باق بإرادة
اللـه وجهاد المؤمنين

نشرت صحيفة الأيام الغراء بعددها بتاريخ ١٩٨٨/٤/٦ فى باب منبر الرأى تعقيبا للدكتور فرج على فوده يكتبه من القاهرة معقبا على بيان لهيئة علماء السودان وقد نشر المحرر بجانب المقال تعريفا لشخصية الكاتب فجزى الله المحرر خيرا على ذلك فقد أخرجنى من حيرة لأن كلمة دكتور هى لقب علمى يدل على تخصص فى فرع من فروع المعرفة، وأنى حين أقرأ مقالا عن الطاقة مثلا بتوقيع دكتور فلان أفهم أنه

متخصص فى الطاقة أو عن الملاريا أعرف أنه متخصص فى الملاريا وكذلك الكلى ونحو ذلك حتى أصبحنا نعلم أن دكتور الأنف لا يقبل رأيه فى العيون مع أنها كلها فى الرأس ولكن مع اعتراف المتخصصين لكل فرد فى تخصصه الذى أفنى فيه جزءا من عمره فإن بعض حملة لقب دكتور بل كثير من المثقفين يرفض أن يعترف بأن علوم الدين هى علوم يجب أن يسلم كل فرع منه لمن تخصص فيه .

بل كثير منهم غره علمه بمعلومات عامة أن يتكلم فى الإسلام بهواه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول (من تكلم فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)(١) والدكتور فوده ينكر علينا فى أول تعقيبه أن ننكر عليه الحديث لأن الأمر هم سودانى ونحن لا ننظر هذه النظرة القاصرة بل فهمنا كما علمنا الإسلام أن العلم لا وطن له كما أن المؤمنين أخوة بينهم التراحم والتناصح.. ولو كتب الدكتور فى تخصصه الزراعى وحدثنا عن أمثل الطرق للنهضة الزراعية ببلدنا، أو عن وسائل الرى أو نحو ذلك لشكرنا له ما تبرع به مع امتلاء بلدنا والحمد لله بعلماء الزراعة، ولو كان كاتب المقال لديه أدنى

(١) صحة الحديث كما ورد فى كتب السنن (من كذب علىّ عامدا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) . . المؤلف

علاقة بعلوم الإسلام حسب تخصصه أو بحوثه التى قدمها لقبلنا قوله فى حدود علمه ولكن كل ذلك لم يكن ولعل المقال كان دعاية لحزبه تحت التكوين وتقديما لبرامجه.. وهو أنه لا يريد أن يحكم الإسلام فى أى بلد مسلم لأن الحكم بالشريعة ليس ركنا من أركان الإسلام وعليه فهو خصم مناوئ لكل من يدعو إلى ذلك لقد امتلأ المقال بالإساءة للعلماء، وسخر بالقرآن وهو يحسب أنه يسخر بالعلماء وقد نال البابا منه من الاحترام ما لم يجده إخوانه فى الإسلام وسأبين ذلك بردى على بعض الفقرات أو أهمها :-

قال الدكتور هو ينقد عنوان البيان (الإسلام باق وشريعته قائمة وإن كره بابا الفاتيكان) يقول (أما أن الإسلام باق فهذه إرادة الله لا إرادة العلماء) نعم إرادة قاضية أن يحفظ القرآن وإرادته قاضية أيضا أن يقيم المؤمنون شرع الله وأن ينتصروا على كل ما وقف فى سبيل إقامة شرع الله ولكن الله الذى علم ذلك وقضاه فرض على رسوله أن يجاهد ولم يسمح له أن يتكل على قضاء الله وقدره بغير عمل وجهاد وقد بين الله ذلك بقوله (ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم) الآية ٤ سورة محمد وقد حفظ الإسلام فى سلوك الناس

وفى أدابهم وأحكامهم بفضل جهاد المؤمنين من الصحابة فمن بعدهم ولكن الدكتور فودة يريد من العلماء أن يصمتوا حتى يستطيع أن يضل هو وأمثاله البسطاء من المسلمين ليكون حزبه ويقيم دولته العلمانية ولكن العلماء لن يصمتوا لأن الله أمرهم بالكلام وبالجهاد ولن يرهبهم أحد إن شاء الله وما كان العلماء يوما حكاما منذ انحسر الاستعمارعن بلادنا الإسلامية ولو تولى العلماء الحكم يوما لشهدت عودة الإسلام كما كان فى عهد عمر بن عبدالعزيز ولكنهم يكتفون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصح للحاكم فمن استجاب هدى ومن أبى فالله حسبه .

ويتساءل الدكتور عن السند من الكتاب والسنة الذى استند إليه العلماء ليكونوا هيئة العلماء وكأن السؤال يفهم أن الدكتور رجل مؤمن يرجع الحق إذا علم الدليل وإليك يقول الله تبارك وتعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ١٠٤ آل عمران - وقال تعالى (ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفوس كل فرقه منهم طائفة ليفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فهيئة علماء السوادان جماعة من العلماء اجتمعوا ليقوموا بما أمرهم الله به من أمر

بمعروف ونهى عن منكر وتعليم للناس أمور دينهم وحقائقه حتى لا يكونوا فريسة للجهل وأن حملوا الألقاب العلمية فى الحشرات والناموس والطاقة الذرية فكل مطلوب منه أن يقوم بدور فى الحياة وقد قاموا بدورهم ولم يدع أحد منهم أنه وصى على الناس أو واسطة بين الناس وربهم كما يدعى من تدافع عنه او عن افكاره على الأقل وإنى سائله هل استند إلى شىء من الدين عندما كون حزبه وإن يدعو إلى البعد عن توجيهات الله فى الحكم والمعاملات ويحصر الدين فى الصلاة والصوم والإجازة يوم الجمعة واحتفال الأعياد ماذا يقول لله يوم يلقاه وقد وقف فى صف الذين يصدون عن سبيل الله؟.

ثم يسخر الدكتور المسكين وأقولها بحق مشفقا عليه لأنه سخر من العلماء وسخر من القرآن إذ يقول وهو يرد على قول العلماء (وبالإسلام تتحقق البركة فى المعاش وبسط الأرزاق يقول رادا ذلك وما أجدر من يتاجرون بشعار البركة أن يرجعوا البصر فى العالم فيرتد البصر خاسئا وهو حسير. حين يرونها تحل فى الولايات المتحدة الأمريكية وتتنزل أهلا فى الأقطار الأوربية، وتمرح سهلا فى أعتى قلاع الشيوعية بينما نلتمسها نحن فلا نجدها ونبحث عنها فتعز علينا

ونغازلها فتأبى الخ ما قال: من غزل فى المتاع المادى الذى يعيشه بعض أهل الكفر ولم يحرم منه بعض أهل. الإيمان فها هو الفرد فى السعودية مثلا يتمتع بكل ما يتمتع به الأوربى وغيره ولكن فى حدود ما أذن الله فيه مع هناءة نفسية لا يجدها الأغنياء الذين ينهون حياتهم بالانتحار فى أمريكا وتلك مقارنة تحتاج فلسفتها لمقال أو كتاب ولكن أقول للدكتور الم تعلم أنك سخرت من القرآن والعياذ بالله فالله يقول (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) ٩٦ من سورة الأعراف - ومعنى آمنوا واتقوا أنهم بعد الإيمان نفذوا ما أمرهم الله به من واجبات وانتهوا عما نهاهم عنه من محرمات ومن الواجبات ان يحكموا شرع الله فى كل حياتهم. فهل تنكر أن الآية من القرآن أم تكذب وعد الله؟ أيهما قلت فقد كفرت ويقول الله تعالى بنص أوضح لمن لايجهد عقله (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم) الآية ٦٥ سورة المائدة وهذا إخبار عن الجزاء فى الآخرة أما بركات الدنيا بإقامة حكم الله فيقول عنها (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم

أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما كانوا يعملون).

فهل تنكر الآية أم تكذب الوعد؟ أيهما قلت فقد كفرت وقد يقول أحد لم تخلف وعد الله عندما طبق نميرى الشريعة وهنا أقول مع القائلين الصادقين الذين يقصدون وجه الله وليس مع الذين يريدون أن يمنعوا إقامة شرع الله أقول إن التطبيق لم يكن كاملا ولم يكن صحيحا فى بعض الأوقات وذلك لأن هناك معارضين كان يهمهم أن لا تصح التجربة وكانت لهم القدرة بمواقعهم فخربوها وانحرفوا بها ولكنها الآن وبعد أن صارت رغبة غالبية الأمة وتبناها أكثر من حزب يهم جماهير مسلمة مع اختلاف الاجتهاد فسوف ينجح التطبيق لأنه مسنود بجماهير مؤمنة وفى الختام اقول للدكتور سامحه الله وعفا عنه إن ما رأيته بركة وتكريما للكفار من متاع الدنيا ليس هو بتكريم إنما هو ابتلاء وفتنة لهم ولضعاف الإيمان فالله يقول: (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه (١)ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن)(٢) كلا.

ويقول تعالى (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة

---

(١) وردت فى الأصل (إذا ابتلاه) وهو خطأ.. المؤلف (الزراعى)

(٢) وردت فى الأصل (أهاننى) وهو خطأ..المؤلف (الزراعى)

لجعلنا(٣) لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم(٤) أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) الآيات ٣٣، ٣٤، ٣٥ من سور الزخرف هدانا الله وإياك.

---

(٣) وردت فى الأصل (يجعانا) وهو خطأ.. المؤلف (الزراعى)
(٤) وردت فى الأصل (لبيوتهم) وهو خطأ..المؤلف (الزراعى)

المحتويات

المؤلف

- الدكتور فرج على فوده .
- من مواليد الزرقا محافظة دمياط ـ ٢٠ أغسطس ١٩٤٥ .
- يملك ويدير مجموعة (فودا الأستشاريه) .
- حاصل على دكتوراه الفلسفة فى الاقتصاد الزراعى من جامعة عين شمس فى ديسمبر ١٩٨١ وموضوع الرسالة (أقتصاديات ترشيد أستخدام مياه الرى فى مصر) .

- صدرت لها الكتب التالية :

١ ـ الوفد والمستقبل .
٢ ـ قبل السقوط (١٤ طبعة) .
٣ ـ الحقيقة الغائبة (٣ طبعات) .
٤ ـ حوار حول العلمانيه .
٥ ـ الطائفيه الى أين (بالمشاركة) .
٦ ـ الملعوب (طبعتان) .
٧ ـ الأرهاب .
٨ ـ النذير .
٩ ـ نكون أو لا نكون .

- تحت الطبع :

زواج المتعه ـ حوار فى المهجر

يسعد المؤلف أن يتلقى رسائل القراء المعارضه أو المؤيده على العنوان التالى :

ص . ب : ٥٦٧٧ هليوبوليس غرب مصر الجديدة